مكتبة فلسطين للكتب المصورة

مفاهيم إسلامية

الماركسية والغزو الفكري

محمد جلال كشك

هذا الكتاب

- يرى اننا نخوض الحرب الصليبية الثالثة .. وان الغزو الفكرى هو سلاح الغرب الصليبى فى هذه الحرب .

- يناقش علاقة الماركسية بهذا الغزو الفكرى من ناحية الدين والقومية .

- يستعرض موقف الشيوعيين من قضية فلسطين والوحدة العربية .

- يرى أن الصراع بين الصين وروسيا هو صراع قومى لا أيدلوجى . . وبه انتهت وحدة المعسكر الشيوعى .

- يرى أن القيم الإسلامية هى التى تحقق الحرية والمساواة .. وهى القادرة على بناء حضارة للعرب .. وتحقيق التآخى مع الشعوب الإفريقية .

مفاهيم إسلامية

الماركسية والغزو الفكري

محمد جلال كشك

مكتبة دار العروبة
١١ شارع الجمهورية القاهرة

مطبعة المدني
٦٨ شارع العباسية

خطبة الكتاب

الحمـــد لله ..

على غير مكروه نحمده هذه المرة ! بل على نعمة من أجل نعمه .. وهل أجل وأعظم من ان تسمع الصيحة ، وتنبت البذرة ، وتلقى الدعوة قلوباً مؤمنة ؟

لم تـكن اكثر من صيحة اردت ان اطلقها ، وفى خاطرى ، وصف « الـكواكبى » لـكتابه الخالد ، بأنه : كلمـــة حق .. وصيحة فى واد .. الخ » ..

وما كان يخطر ببالى ان الـكلمة ستلقى كل هذه القلوب المتفتحة ، وأن الحبة ستنبت كل هذه السنابل ! .

فما كاد يخرج كتاب « الغزو الفـكرى » حتى أحدث من الأثر ما فاق كل احلامى وتصوراتى .. وما زلت حتى الآن اقلب الـكتاب متسائلا .. « ماذا فيـــه .. لتنفد نسخه خلال ثلاثة شهور .. وبرغم جهودنا ! » .. فلا أجد الجواب الا فى كلمة واحدة : « الصدق » ..

اثار نقاشاً وتعليقاً فى كل بلد عربى .. حتى جماعة « اقتله بالصمت »

كان الانفعال يدفعهم الى بعض الغمغمات المسموعة التى تؤكد انه نال منهم. بل وأصبح اسم الكتاب شعاراً فى مؤتمرات ادبية وبحوث فكرية .. وجاء صليبيون من روما وباريس ، يتساءلون عن مؤلفه .. وتلقى الناشر الصديق العزيز « اسماعيل عبيد » طلبات يخطىء اكثرها فى اسم المؤلف ولا تخطىء اسم الكتاب .. وليس أعظم من أن يصبح الكتاب اشهر من مؤلفه .. وأن يعرفه الناس لحق قاله .. كذلك فما أحب الى قلبى من ذلك النقد الذى وجه للكتاب ، بأنه جاء مختصراً ولو أطال لأشبع وأمتع .. نعم .. خير الف مرة ان يقال للمتحدث : — هل من مزيد ؟ من ان يقال له : هون عليك ! بعض ماقلت كان يكفى ..

وعذرى للذين أرادوا المزيد ، انى أردته أن يكون الصيحة التى يتجمع لها العقلاء ، فيناقشون ويتدبرون .. وأحسبنى لا أذهب بعيدا فى تفاؤلى ، لو قلت أنهم فعلوا .. وسنرى ، بغير شك ، من علماء الإسلام وشباب العروبة ، صفحات أوضح ، وبحوثا أعمق ، وأعمالا أنضج .. سيكون لى الشرف ، أن أتعلم منها ..

وكان على العبد الفقير ، ولا أقول « الحقير » ، كما كان « الجبرتى » فخر أمتنا يصف نفسه فى كتابه .. فتلك مرتبة من التواضع ، لم نصل إليها ، ولا نطمع فيما يقابلها من جزاء الخلود الذى ناله ..

أقول ، كان على العبد الفقير أن يعيد طبع كتاب « الغزو الفكرى » لولا أن جدت أحداث تستدعى أن يبادر المرء إلى تغييرها بغير أضعف الإيمان ولا أقواه .. وهل نملك إلا اللسان والقلم ؟

وبمشيئة الله ، ستكون هناك طبعة ثانية من « الغزو الفكرى »

سأتناول فيها ماتفضل به النقاد من توجيهات أعتز بها .. ولكنى أحب هنا أن أقف عند تعليق واحد . . قاله الأستاذ « أنيس منصور » فى صحيفة الأخبار .. وكان هو أول من علق على الكتاب .. قائلا : « الغزو الفكرى الذى لاأراه » . . وأحسب أنه قد رآه بحواسه الخمس . .

فطوبى للذى آمن ولم ير .. !

وأظن أننا يجب أن نقول شيئا عن هذا الكتاب . . والمفروض أن حديثنا هذا ، مقدمته . . وقد اخترت أن أسميها « خطبة الكتاب » فذلك من تراثنا . . ولكنى أكره أن أفشى سر الكتاب قبل أن تحكيه صفحاته ولأنه كتاب جاف . . فلست أحب أن أثقل عليك أيضاً فى هذه السطور . . ومن ثم فلن أقول عنه شيئا . .

أما هذه الصفحات الست التى ننشرها بالزنكوغراف . . فلأنى « أمرؤ فيه دعابة » . . آثرت أن أعرفك بعلاقتى بالماركسية من خلال مقال سبتنى فيه « البرافدا » فأقذعت .

« والبرافدا » ـ كما أنت تعلم ـ هى الصحيفة الرسمية للحزب الشيوعى السوفيتى وتاريخ هذا الحوار هو ١٩ يوليو ١٩٦٢ (وردى عليه فى روز اليوسف فى ٣٠ يوليو ٦٢) وكاتبه من الجانب الروسى هو « فيكتور مايفسكى » .. وكان وقتها نائبا لرئيس التحرير . . ولا يزال يكتب فى البرافدا ، بعد اعفاء خرشوف ، وأرجو له كل خير .. فقد أسعدنى حقا أن تسبنى جريدة محترمة « كالبرافدا »

وباختصار شديد . . حتى لا أعوقك عن أقتحام الكتاب . . أقول لك رأيى :

انى أعتقد أننا نعيش الحرب الصليبية الثالثة.. وكانت الأولى هى تلك التى دعا إليها البابا أربان الثانى فى نوفمبر ١٠٩٥ .. والثانية بدأت بنزول نابليون فى الأسكندرية فى يوليو ١٧٩٨ .. أما الثالثة فيصعب تحديد بدايتها لأنها لاتعتمد على الحملات العسكرية.. حتى نؤرخ لها بيوم الغزو .. بل أن مدفعيتها الثقيلة هى الغزو الفكرى .. وهى عملية معقدة ومستترة .. تتسلل على نحو يصعب تماما ، تحديد بدايته .. بل ربما تمتد بجذورها إلى الحرب الصليبية الأولى ..

وفى مواجهتها ليس لنا من سلاح إلا ديننا .

واعتزازنا بحضارتنا ليس ردة ، ولا حنينا للماضى .. بل لأننا وقد لمسنا قبساً من ضياء هذه الحضارة .. يعز علينا أن نكون كأولئك البؤساء الذين رآهم الرسول فى حديث الإسراء والمعراج يأكلون لحما نتنا ويصدفون عن اللحم الطيب .

مايو ١٩٦٥ — جلال كشك

٢١ /٧/ تاس / ٢٠٧ ــ ١

موسكو ــ ٢١ يوليو ــ تاس : بناء على طلبكم ، فيما يلى النص الكامل لمقالة فيكتور مايفسكى : " محادثات فى القاهـــرة " المنشورة فى " البرافدا " فى التاسع عشر من يوليو ...

" ان المؤتمر الوطنى للقوى الشعبيه على وشك الانعقاد وكان المفروض أن يفتتح فى منتصف ابريل ، ثم فى أوائل مايو ولكنه كان يؤجل فى كل مرة . وقد انتهى اعداد مشروع ميثاق العمل الوطنى . ماذا سيقول ؟ ليس ثمة من يعرف . ولكـــن الطبقات المختلفه تتخذ مواقف متباينه ازاء الميثاق المقبل .

وبالصدفه قابلنا رأسمالى مصرى ، امست مشروعاته ، هز كتفيه وقال فى استياء :

" ما أريده هو الوضوح ... اذا كنا نبنى الاشتراكية ... فلماذا تبقى كل هذه الرأسماليه عندنا ؟ واذا كنا نبنى رأسماليه فلماذا كل هذه التأميمات ، وهذا الحديث عن الاشتراكية ... أريد ان اعرف بوضوح ما الذى نبنيـــه ؟

وتحدثنا مع عمال ... حدثونا عن آمالهم للمستقبـــل ، عن رغبتهم فى أن يروا فى الميثاق الوطنى ضمانات ضد البطالة ، وضد الاستغلال ، ضمانات من اجل الحريات الديموقراطيـــة وتوسيعا للحقوق النقابيه ، وسبيلا لرفع مستوى معيشتهم .

وأخبرنا وزير العمل ، السيد كمال الدين رفعت ، بصراحة : أن وضع العمال فى القطاع الخاص ، صعب جدا ، وخاصة فى المشروعات الصغيرة . ان يوم العمل يتراوح مابين ١٢ و ١٤ ساعة . العمال ينالون أجورا ضعيفة ، ويضهدهم اصحاب العمل . نحن نحاول اتخاذ اجراء اتلتحسين وضعهم ولكن ذلك ليس سهلا .

اما فى القطاع الاشتراكى ، فالوضع افضل ، اذ بموجب قانون عام صدر العام الماضى ، ينفق ٢٥ ٪ من الارباح على احتياجات العمال .

ولكن اى نظام تقيمون ؟ سألنا الوزير ... فأجاب وهو يبتسم " سيخبركم الرئيس نفسه بأفضل مما استطيع "

واستقبلنا الرئيس جمال عبد الناصر فى مقره بهيليوبليس من ضواحى العاصمه ، حيث جرت محادثه استغرقت ساعتين . وحدثنا جمال عبد الناصر عن خصائص الثورة المصريه ، والاصلاحات الجاريه فى ج . ع . م . قال الرئيس : " كان لنين يقول أنه بالاساليب الثوريه وحدها يمكن انتزاع السلطة من البورجوازية ... ونحن ايضا انتزعنا السلطة باساليب ثوريه ... ولكننا نريد ان نبنى الاشتراكيه بوسائل سلميه .

ان تصورنا للاشتراكيه يختلف عن تصوركم .. والخلافات الاساسيه بين ثورتنا وثورتكم ، أنه وفقا لما كتبه ماركس ولنين

تعتبرون ديكتاتورية البروليتاريا قضية حيويه ، بينما نرى نحن ان

ديكتاتورية البروليتاريا يمكن الاستغناء عنها ... نحن ضـــد ديكتاتورية أى جانب على الجانب الاخر .

ان تطور الثورة فى بلادنا قد سلك طريقا خاصا . لم يكـن لدينا تنظيم سياسى ، ولاحزب يمكن ان تتجسد فيه اهدافنـــا . كانت فى البلاد احزاب ، ولكنها خدمت مصالح الرأسماليـــن والاقطاعيـــن .

ولقد حاولنا خلق تنظيم سياسى يوحد الشعب كله ، ويتعاون بداخله ممثلوا مختلف قطاعات المجتمع على أسس التعايش السلمى .

ولم يطل بنا الوقت ، حتى تبينا أن الرجعيه ترفض التعاون ، وأنها تريد الاطاحة بنا ، وقررنا ان نبعد الرجعيين من التنظيم السياسى . ونحن نقر بوجود الصراع الطبقى ونؤيد الصـــراع ضد الرأسماليين والاقطاعيين .

ان ما نريده ، هو تحقيق العداله ، ازالة سلطة الاقطاعيـــن والرأسماليين ، وخلق مجتمع يخدم مصالح الجميع ، ولا يقـــوم على الاستغـــلال .

وبعد ان اكد الرئيس مرة اخرى ، ان الخلاف الاساسى بين الاشتراكية السوفيتيه ، والاشتراكيه المصريه هى ديكتاتوريـــة البروليتاريا ، انتقل الرئيس لنقطة خلاف هامة اخرى .. وهـــى

الموقف من الدين ٠٠ وعلى اساس ان كل الانبياء ، محمد والمسيح والاخرين ظهروا فى الشرق الاوسط ٠

أعلن الرئيس ان الاسلام دين اشتراكى ، وفى نفس الوقت اشار الى الدور الرجعى الذى لعبه جانب معين من رجال الدين ، وأكد ضرورة نشر التعليم ٠ وعلى أية حال فقد اشار الرئيس اكثر من مرة الى انه لا تعارض بين الدين والتعليم ٠

وفى نهاية حديثنا أشار الرئيس الى العلاقات بين ج ٠ ع ٠ م والاتحاد السوفيتى ٠٠٠ قال الرئيس " اننا نحتاج الى فهم متبادل اكثر ٠٠٠ وليس هذا بالامر الهين ، اذا ماراعينا اختلاف نظرتنا لعدد من القضايا ٠

نحن نحتاج الى تعاون اقتصادى اكبر ، وتبادل تجارى اكبر مع الاتحاد السوفيتى ٠ اننى احب الشعب السوفيتى ، ولن انسى الرقة والمشاعر الطيبه التى لمستها فى زيارتى للاتحاد السوفيتى ، لقد تحدثت عن ذلك للجميع ٠٠٠ ان الاتحاد السوفيتى يقف من اجل السلام وتطويره بلا ده ٠ انه لن يبدأ الحرب أبدا ، وسيناضل دائما من اجل السعاده والرخاء والسلم ٠

والميثاق يحتوى على الدعوى المذكورة عن الاساس الدينى "للاشتراكية العربية " ويؤكد الحاجة لتذويب الفوارق بين الطبقات " سلميا " ٠٠ وحماية الملكية الخاصه ٠

وهكذا فان الميثاق لا يعكس التطورات التى انجزت فى ـ ج ٠ ع ٠ م بعد الثورة فحسب ، بل ويعكس أيضا التناقضات الموجودة فى التطور الاجتماعى لهذه البلاد ٠

وستثبت الحياة ما الذى سيعطيه الميثاق لشعب ج ٠ ع ٠ م فالمرء لا يملك الا الموافقة على ما جاء بالميثاق من أن : " الجهود المتواصلة هى وحدها القادرة على الوصول الى الاحلام " وليس من حق احد فى هذه المرحلة ان يخدع الجماهير بالمنى ٠ ان التقدم الوطنى لا تحققه كلمات محفوظة عاليه الرنين ٠

ولسوء الحظ ـ كما يجب ان نلاحظ ـ ان هذه النقطة لم يلتزم بها بعض الصحفيين فى الجمهورية العربية المتحدة ٠ لقد بدأوا خداع الجماهير " فى هذه المرحلة " كما فعلوا من قبل ٠

وامامى الان سلسلة مقالات للمدعو جلال كشك من مجلة روزاليوسف ٠٠٠ ومن الصعب القول ما الذى يشيع فيها ٠٠٠٠ الجهل ام الحقد ؟

ان الكاتب يهاجم تعاليم الماركسيه ـ اللنينية ٠ ثم يصرخ : " ان اشتراكيتنا تشكل تحديا سياسيا وفلسفيا للماركسية " ويهاجم ديكتاتورية البروليتاريا ٠٠٠ ويدافع عن الملكية الرأسماليه الخاصه ٠٠٠ واهانات طائشه للشعب السوفيتى ، وانجازاته العظيمة التى مهدت الطريق لنجاح حركة التحرر الوطنى فى آسيا

وأفريقيا ، وأمريكا اللاتينيه • وجلال كشك يدعى الاصالـــــه في هجومه على تعاليم الاشتراكية والاتحاد السوفيتي • ولكنـــه في الحقيقه يردد الكليشيهات المحفوظه المنحطه للدعايـــه البورجوازية المعاديه للشيوعية •

ان اكثر الصحف والمجلات الرجعيه ••• الامريكيه والبريطانيه والفرنسيه ستنشر مسرورة مقالاته •

ان في " الميثاق " فقرة تقول : ــ " يجب الا ننسى ان الرجعيه لم تتم تصفيتها بعد " • والمقالات المنشورة فـــــي " روز اليوسف " تبين مرة اخرى كيف يعمل الرجعيون الذيـــن يحاولون خداع الشعب المصرى بادعاء دفاعهم عن الميثاق الجديد وفي الحقيقه يدعمون مراكز الاستعمار •

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

اشتراكيتنا اشتراكية علمية . .

قائمة على العلم وليست قائمة على الفوضى . . ليست أبداً اشتراكية مادية . . لم نقل إن اشتراكيتنا مادية ولا قلنا إن اشتراكيتنا ماركسية . .

جمال عبد الناصر

قد يبدو غريبا أن نسلك الماركسية فى طابور الغزو الفكرى ، وأن نعدها ضمن أسلحة هذا الغزو ، مع أن الماركسية ، كما يشاع عنها حركة سياسية معادية للغرب ، ودعوة مادية ترفض الأديان . . . ومذهب « أممى » لا يعترف بالحدود ولا بالقوميات . .

ونحن نعرف الغزو الفكرى بأنه سلاح الغرب فى الحرب الصليبية الثالثة بين الغرب الصليبى والشرق الإسلامى . . فكيف نقول ان الماركسية ، وهى كما وصفنا ، ضرب من الغزو الفكرى ؟ !

تلك هى القضية التى نثيرها . . وعسى أن ننجح فى إقامة الدليل عليها بادئين بتحديد ما نعنيه بالغزو الفكرى :

الغزو الفكرى ، هو معركتنا الحاضرة فى الحرب الأبدية التى يجابهنا بها العداء الصليبى ، منذ أن خرجت الدعوة الإسلامية من جزيرة العرب تطلق صيحة التوحيد فتهز أركان الشرك ، وتنادى بأن للكون سيداً واحداً ، هو الله ، الأحد ، الصمد . . والناس بعد ذلك سواسية لاميزة لجنس ، ولا لون . ولا عنصرية ، ولا طبقية . .

وبذلك وضعت حضارتنا القائمة على التوحيد المطلق ، الأساس الحقيقى لتحرر الإنسان ، ومساواته . . فعندما يصبح الشرك هو أكبر الكبائر ،

وتنتفى شبهة الألوهية أو مرتبة ما فوق البشرية عن أى إنسان . . كائناً من كان . . عندئذ تتحطم أسطورة ظل الله على الأرض ، حتى أن عمر يوصى بقتل الخليفة المنحرف ، فيراجعه « طلحة » :

— « وما عليك لو قلت : إن تعوج عزلوه ! » .

فيرد أمير المؤمنين عمر :

— « لا . . القتل أنكل لمن بعده ! » .

وبعد عمر بألف سنة يؤلف الفلاسفة الإنجليز فى طاعة الملك الظالم !

ولأننا قد سلمنا بألوهية الله وحده . . وبشرية الناس كافة فإن لغتنا العربية لا تعرف لفظاً يعطى معنى الارستوقراطية فنضطر إلى استعارة اللفظ الأجنبى . .

ونحكم الدنيا ألف عام . . ولا نعرف الألقاب . . وما سمى الخليفة « أمير المؤمنين » إلا استثقالا لقولهم : خليفة خليفة رسول الله . . والإمارة عندهم تعنى القيادة فالحديث يطالبهم بأن يؤمروا ولو على ثلاثة . . .

والسيادة فى حضارتنا لا تورث ولا ترتبط بالثراء . . فأم معاوية حين ولدته ، لم تقل هذا ابن أبى سفيان ، ومن ثم ، فسيسود العرب . . بل قالت : « إن ابنى هذا كبير الرأس . . وهو خليق بأن يسود قومه » . .

فقال أبو سفيان : « ثكلته أمه إن لم يسد العرب قاطبة » . .

وعندما يؤرخ المسلمون لمشاهيرهم : تراهم يقولون : « وكان سيداً

فى قومه » فهذه السيادة ليست نتيجة منطقية لثراء الشخص أو مركزه العائلى . .

ونظام الميراث الإسلامى ، الرائع ، قد قضى على أى احتمال لتوارث الثروة واحتكارها . . وهى السبيل إلى توارث الامتيازات الطبقية .

وحضارتنا هى التى قالت : « سلمان منا أهل البيت » . .

وسلمان عبد فارسى ، وقائلها هو رسول الله ، وبيته أشرف بيت فى العرب . . والعرب هم الذين — قبل قولته هذه صلى الله عليه وسلم بسنوات معدودة — قاتلوا الفرس فى حرب ذى قار . . لأن كسرى كان قد طلب الزواج من ابنة عامله النعمان بن المنذر . . فرفض النعمان أنفة واحتقاراً للأعجمى الذى كان يلقب بملك الملوك . !

واستدعاه كسرى إلى العاصمة ، وهناك طرحه تحت أقدام الفيلة ، ولكن القبائل العربية منعت ابنة النعمان أن يتزوجها ملك العجم . . لأنه لا يليق !

وكانت الحرب . .

عامل كسرى يرفض أن يزوج ابنته . . لأن كسرى أعجمى وابنة النعمان عربية . . ويغضب العرب لغضبة النعمان ، ويقرون رفضه مصاهرة بيت ملك العجم ! . .

وهم بعينهم . . العرب . . الذين علمهم الرسول ، أن العبد الأعجمى سلمان . . بإسلامه . . قد انتمى إلى أشرف بيت فى العرب !

هذا هو الانقلاب الثورى . . وهذه هى الثورة التى لا تعرف

فى المبـادىء مداهنـة . . ولا مساومة . .

أستغفر الله . .

بل هـذا هو التغيير الذى لا يقوى على إحداثه إلا رسالة السماء . . فـكم من ثورات تحدثت عن المساواة ، بل وفرضتها بقوة القانون . . ولـكنها لم تستطع أن تتغلغل إلى القلوب ، وتنفذ إلى الضمائر . .

ولعل أقرب الثورات عهـداً ، وأحراها بالمساواة ، هى الثورة الشيوعية ، التى تنفى العصبية الدينية ، وتعلن استبعاد القومية كعامل تفرقة بين الناس .. فما الذى حققته ؟

اعتدنا منذ استقلال أفريقيا أن نرى فى مكاتب الاستعلامات الشيوعية صورة تقليدية ، لشقراء كقطعة القشدة ، تحتضن فى أخوة ، زميـلا زنجياً . . والبشر والفرحة يعلوان وجهيهما . . وتحت الصورة ما يليق من التعليقات ، ولعنات مناسبة على دعاة العنصرية والتفرقة بسبب اللون أو الجنس أو العرق .. الخ . .

ولـكن . .

تدافـع الطلبـة الزنوج إلى الدول الشيوعيـة ، وفتحت لهم الجامعات ، بل وأنشئت لهم جامعات خاصة . . لا عن تفرقة بل من فرط الاهتمام . .

فلمـا أحب الزنجى الشقراء . . . وأحبته . . . وجدوا جثته على الجليد . . .

ولمـا تظاهر الطلبة الأفريقيون احتجاجاً . . صاح فيهم الطلبة الشيوعيون : عودوا إلى الغابة أيها القردة !

وحكاية أخرى :

« عندما أقمت (١) فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٥٨ كنت أعيش بالمستشفيات أو أتردد عليها ، وكانت تجرى لى كل ثلاثة أيام عملية بذل بالجيب الأنفى ولذلك كانت مناديلى ملوثة دوماً بالدم ، وكنت آخذها هى وبقية ملابسى إلى مغسلة حكومية رخيصة لأن غسلها بالفنادق باهظ التكلفة ومع الزمن نشأت بينى وبين عاملة المغسلة العجوز — ولا يضعون سوى العجائز فى مثل هذه الأعمال — علاقة فيها إعزاز كبير رغم قبحها غير المعقول الذى كان يغطيه حنانها ..

وذهلت عندما اكتشفت مع تحسن لغتى التشيكوسلوفاكية بعد أربعة أشهر ، أنها كانت تظننى ، مع كل ملامحى الشرقية الأصيلة ، طيلة هذه المدة ، رجلا إنجليزياً ، لمجرد اننى أتكلم الإنجليزية وأدخن سجائر أمريكية كانت تفرح بأن تأخذ بعضها لابنها ! واندفعت أصحح لها خطأها وأخبرها فى طيبة قلب ، بأننى مصرى ولست إنجليزياً !

وسألتنى مستنكرة .

— « أنت مصرى ولست إنجليزياً ؟ ! »

وأجبتها « إننى أفتخر بأننى مصرى ولست إنجليزياً . »

وفى سكون أعادت وضع الغسيل فى شنطتى وهى تتأفف عندما تمسك مناديلى من أطرافها كما لو كانت شيئاً نجساً وقالت ؟

— هذه مناديل قذرة مليئة بالدماء لا يمكن غسلها ! . .

---

(١) وسيم خالد : الاشتراكية . . الشيوعيه . . الأوروبية ص ٦٣ .

وأجبتها فى ضحكة باردة اننى صحفى واننى سأذهب فى الحال إلى وزارة الخارجية لأخبرهم بامتناعها عن تسلم ملابسى بعد أربعة أشهر لمجرد أنها عرفت أننى مصرى ولست إنجليزيا !

وفى نفس التقزز أعادت فتح شنطتى وتسلمت الغسيل مرة أخرى وأعطتنى إيصالا دون أن تنطق بكلمة واحدة ! »

هذه الحيزبون التى يحكى عنها ، لم تفلح عشر سنوات من الحكم الشيوعى فى استئصال داء التفرقة العنصرية من نخاعها .

الإيمان بالمساواة لا يمكن أن ينبعث من مجرد الإيمان بوحدة المصالح . فأنا وكلبى متفقة مصالحنا ضد الذئب . . ولا مجال لتناقضات بيننا ، وأيضاً لا مجال للمساواة . .

والشرطة تستطيع أن تجبر هذه العجوز التشيكية على أن تسلك فى تصرفاتها ، بما يتفق وقوانين المساواة . . ولكن أن تنبعث هذه المساواة من القلب . . فذلك يحتاج أولا إلى إيمان بالوحدانية . . بأن الله هو الأحد الصمد . . ثم بأن « كلكم لآدم وآدم من تراب » . .

ولا سبيل للقول بأنها عجوز لم تفلح فيها تربية عشر سنوات من الحكم الشيوعى ، حيث أجهزة الدعاية وأساليبها قد وصلت إلى مدى لم تعرفه البشرية من قبل .

دعوة الإسلام جعلت عمر بن الخطاب يتغير من جاهلى يدفن ابنته حية وهى تنفض التراب عن لحيته . . إلى عمر بن الخطاب الذى يرتعد ويبكى هلعاً عندما يسمع طفلا رضيعا يبكى لأن أمه تجبره على الفطام حتى يسجل فى كشوف المرتبات .. ويبيت عمر يبكى ويعاتب نفسه « ويلك

يا عمر ! . . كم قتلت من أولاد المسلمين » . .

وعند الصباح يأمر بصرف المرتبات لكل من ولد . . حتى لا يحرم رضيع من ثدى أمه . .

تلك هى تعاليم ديننا . . ما زالت حتى القرن العشرين ، تتحدى الحضارة الغربية الصليبية[1] . . فلا شك أن الصدمة كانت مروعة وذلك الغرب غارق فى جهالات قرونه الوسطى . .

ولم يقتصر الأمر على هذا التفوق الحضارى والفكرى ، بل شاءت إرادة الله أن ينتشر الإسلام ، وأن يتمركز العرب المسلمون بالذات فى تلك الرقعة من الأرض التى يمكن تسميتها ببوابة آسيا وأفريقيا . .

« منذ أن جمع « محمد » أنصاره الأولين فى مطلع القرن السابع ، وبدأ أول خطوات الانتشار العربى ، أصبح على العالم الغربى أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وصلبة تواجهه عبر البحر الأبيض . . إن قوى الغرب المسيحية كانت تواجه العالم العربى على مدى ١٣٠٠ سنة فى نهضته وانهياره[2] » .

شاءت إرادة الله أن يجعلنا نحن حراس هذه البوابة . . لابد لمن أراد الوصول إلى اسيا وافريقيا أن يمر بالعرب . . وأن تفتح له الأبواب . . أن يقول كلمة السر لحراسها ليسمحوا له بالمرور ..

---

(١) من حقنا أن نسجل بكل اعزاز أن وثيقة حقوق الإنسان المعلنة فى ديسمبر ١٩٤٨ لم تسجل حرفا واحدا يمكن اعتباره متفوقا على تعاليم الإسلام . . بل يستطيع الباحث المنصف أن يرجع كل مفاهيمها الآنسانية إلى المبادئ الإسلامية .

(٢) من مقدمة كتاب « العرب » « لا نطونى ناتنج » لندن ١٩٦٤ .

وقد تعلمنا من عبرة التاريخ ، أن الغرب الصليبي لايمر من هذه البوابة إلا غازيا . ، سارقا .. ناهبا ..

لذا كان علينا أن نصده .. وكان على الغزاة أن يقتحموا البوابة بقتل حراسها .. أو أسرهم .. أو استرقاقهم ..

ومن هنا ولد العداء الأبدى بين الغرب الصليبي[1] والشرق الإسلامى والعرب بالذات ..

ونحن لا نتجنى .. ولا نتصور أشباحا . . ولن يفزعنا قولهم : سلفيون متعصبون ! . .

لأن الذين يتحدثون عن الحرب الأبدية بين الشرق والغرب . . بين المسيحية والإسلام هم كتاب الغرب . . لا نحن . . للأسف !

وما زال بعض مثقفينا يرى أن مما يشينه أن يتحدث عن الأديان ! أو يتعفف عن الإشارة إلى الطابع الصليبي لعداء الغرب للعرب[2] . .

---

(١) التعبير الشائع فى الكتابات الغربية هو « المسيحية الغربية » . . وهذا ما نعنيه باصطلاح الغرب الصليبي . .

(٢) أو ينصح ناقد، شاعرا ، بتثقيف نفسه ليعرف أن حرب الجزائر لم تكن حربا صليبية . . بل حرب خمارات لإجبار الجزائريين على زراعة العنب لصناعة النبيذ فى فرنسا !

وماذا عن طابع البريد لمدينة الجزائر فى ظل الاحتلال الفرنسى وهو هلال منكسر .. وصليب منتصر يعلوه كما يروى أوزيجان ؟ !

وماذا عن إعلان « جى موليه » (الاشتراكى) ورئيس وزراء فرنسا ..

بان الحركه الإسلامية التى تتسع فى افريقيا هى التى تهدد الامبراطورية الفرنسية فى المغرب . وكذلك أعلن جورج بيدو « أنه يعز عليه أن ينتصر الهلال على الصليب » ويشهد الكاتبان الفرنسيان كوليت وفرانسيس جانسون ، أن الاحتلال الفرنسى للجزائر كان منذ البدء يحمل هذا المعنى من « الحروب الصليبية » (التبشير والاستعمار) .

بينما نرى بأعيننا ونسمع ما يفعله المبشرون فى جنوب السودان[1] ، ونرى الفاتيكان تبعث بثمانمائة مبشر مرة واحدة لإفريقيا لمواجهة الزحف الإسلامى بعد الاستقلال . . وتكتشف بعد عشرين قرنا من مولد المسيح أنه من الممكن أن يكون الزنجى كاردينالا ! . .

وتغتبط صحيفة عربية لفتح كنيسة فى مشيخة أبو ظبى ، وتثنى على شيخها شخبوط الذى يرفض فتح مدرسة واحدة . . ومع ثناء هذه الصحيفة التى ترفض أن يتحدث الناس فى بلادها باسم الإسلام لأن هذه طائفية ، ثم لا تخفى فرحتها بافتتاح كنيسة على بعد آلاف الأميال . . وفى أرض ليس فيها مسيحى واحد منذ ١٤ قرنا . . !

أقول مع ثناء الصحيفة تنطلق إحدى وعشرون طلقة مدفع من مدمرة بريطانية تحية للكنيسة . . !

وفى نفس الأسبوع تبشرنا صحيفة أخرى ، أن اسبانيا وافقت ، لأول مرة منذ زوال الحكم العربى ، على فتح مسجد فى أسبانيا ، بعد أن عاشت خمسة قرون يحرم فيها بناء مسجد [2] . . وهى التى كانت درة الإسلام ثمانية قرون ! . .

خمسة قرون حكم أسبانيا ملوك وجمهوريون وفوضويون وشيوعيون وفاشست . . كاثوليك . . وديموقراطيون . . وملاحدة . . ؛ وكلهم رفضوا فتح المسجد ! .

---

(١) إن الحكومة لم تكن غافلة فى يوم من الايام عن النشاط المعادى لوحدة البلاد، الذى ظل بعض الأجانب من المبشرين يقومون به فى جنوب السودان (من قرار الحكومة السودانيه بابعاد المبشرين).

(٢) ورفضت بريطانيا فتح مسجد ثان فى لندن .

وللمثقفين الذين يخجلهم الحديث عن الطابع الدينى للصراع بين الحضارات . . أعيد كلمات كاتب مثقف جداً . . هو « الن مورهيد » مؤلف كتابى « النيل الأبيض » و « النيل الأزرق » . ماذا يقول « مورهيد » :

« كان لدى غوردون ما يقوله عن التناقض بين المسيحية والإسلام فى الشرق الأدنى ١ .

« منذ حملة نابليون لم تكن مصر تنتظر على يد المسيحيين إلا الهزيمة والإذلال ٢ » .

« بعد خلع إسماعيل والإعداد لاحتلال مصر كان السياسيون فى باريس ولندن يتحدثون عن مؤامرة إسلامية خطيرة وتيار محمدى متعصب . . »

ويبرر الاحتلال البريطانى قائلا : « خلال الأسبوع الأول من يونيه ١٨٨١ كان المهيجون يجرون فى الشوارع صائحين : « يا مسلمين اذبحوا المسيحيين . . »

« إن العداء للمهدية فى أوربا كان عميقا جدا . . كانت أوروبا تحس أن العقيدة المسيحية نفسها تواجه تحديا من هؤلاء القتلة المتعصبين فى السودان » .

---

(١) منهامثلا « حتى فى الإسلام يمكن أن نجد بعض الفضائل ! » النيل الابيض ص ١٩٥ .

(٢) ص ٢٠٨

« فى نهاية ١٨٨٣ كان يمكن القول بأن الصراع بين الإسلام والمسيحية قد وصل إلى نتيجة مشرفة للطرفين ، فقد استولى الانجليز على مصر ولكنهم خسروا السودان » .

« لقد انتهت هذه القلاقل (ثورات عرابى والمهدى) ـ كما رأينا ـ بالهزيمة الساحقة للاسلام على ضفاف النيل .. ولكن ثبت أنها هزيمة مؤقتة ليس إلا .. ومنذ سنة ١٩٠٠ وهناك تقدم منتظم للاسلام فى شرق افريقيا ووسطها ، وفى الوقت الحاضر يكسب المسلمون مؤمنين جدداً أكثر من المسيحيين .. لذا فما من رجل عاقل ، يغامر بالقول بأن ذلك هو نهاية الأمر .. التناقض بين الدينين .. الشرق ضد الغرب .. يبدو كأنه جزء دائم من الواقع الأفريقى .. وهذا الصراع يمضى أحيانا تحت الأرض ، وأحيانا فوقها .. ولكنه مستمر و محتوم كالنيل نفسه » [١]

هاهو كاتب أمريكى « مثقف جدا » يكتب عن الصراع الأبدى والمحتوم، وقراء مثقفون فى أوروبا وأمريكا يقبلون على قراءة هذا التفسير حتى يروج المؤلف وتطبع كتبه فى جميع اللغات البيضاء فور صدورها !

العدو يرفع الصليب .. ويؤرخ حروبه كانتصارات للصليبية على الإسلام .. ثم يطلب من الضحية أن ترفض التفسير الدينى !

وأيضا . .

مجلة « حوار » . .

نحن نتهمها أنها وهى تصدر عن المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، تصدر عن منظمة استعمارية ، معادية لحضارتنا ، معادية للاسلام والعروبة .

---

(١) ص ٣٧٦

نقول ذلك فلا يصدقنا « المثقفون » « التقدميون » ويصرون على الكتابة فيها ، ويغمرهم الأسي والأسف لتعصبنا وتخلفنا .. ويحذروننا من التخلف الفكرى لاالغزو الفكرى كما نزعم نحن !

وتأبى المجلة إلا أن تفضحهم . . وهى مشكورة على صراحتها . . فى العدد الخامس[1] كتبت تحت عنوان : « بهذه القيم نؤمن » :

سأنقلها بالحرف الواحد :

« صدرت فى أثينا فى الشهر الماضى مجلة جديدة باللغة اليونانية اسمها « ايبوك » وتربطها أوثق الروابط بالمجلات الأخرى التى تصدر عن المنظمة العالمية لحرية الثقافة [2] . . يحرر هذه المجلة الروائى والكاتب المسرحى انجيلوس تيرزاكيس ، ومن أعضاء هيئة تحريرها جورج سفيرس أبرز شعراء اليونان الأحياء .. وقد وردت فى افتتاحية المجلة الراسمة لأهدافها ، المقاطع التالية : إن الحضارة الأوروبية المنبثقة عن التقاليد اليونانية والرومانية والمسيحية ، ترتبط فى وعينا ببعض القيم وجماع هذه القيم يعطى صورة كاملة عن الإنسان الذى كونته هذه الحضارة ..

إننا نصدر هذة المجلة ونحن نطمح إلى إثارة هذه المعركة فى الضمائر وتحريك القوى الثقافية والروحية فى سبيل الدفاع عنها ، مستمدين حيويتنا من الماضى والحاضر ومن الجيل الصاعد الذى يحمل رسالة فتية صافية »

هكذا قالت المجلة بالحرف الواحد .

إذن .. هذه مجلة تصدر فى بيروت « العربية » تعلن على رؤوس

(١) تموز ـ آب (يوليو ـ أغسطس) ١٩٦٣ .
(٢) ومنها مجله حوار .

الاشهاد انها تؤمن بقيم الحضارة الأوروبية ، المنبثقة عن التقاليد اليونانية والرومانية والمسيحية . .

إن كان من حق هذه المجلة أن تؤمن بهذه القيم .. ألا يحق لنا نحن أن نغضب لحضارتنا المنبثقة عن التقاليد العربية والإسلامية ؟

لماذا تستبعد حضارتنا نحن ؟ .. لماذا لم تكلف هذه المجلة التى تنتمى للمنظمة العالمية لحرية الثقافة (باللأشياء الكبيرة) لماذا لم تكلف نفسها عناء الإشارة إلى حضارتنا ، ولو بكلمة ؟ الا تستحق أن تضاف ولو كعامل ثانوى لمكونات قيم الإنسان المعاصر ؟ ..

حضارتنا تستبعد .. وحديثنا عن العروبة عنصرية . . وإشادتنا بالإسلام تخلف ؟ !

ولو تحدثنا عن ماضينا .. فنحن سلفيون ، ننسج من خيوط ماضينا الشرنقة الذهبية .. وتظهر لنا « هوام » تعلن أنها تريد بناء « مستقبل يختلف عن ماضينا » ! !

أما مجلة « ايبوك » فتستمد حيويتها من ماضيها اليونانى والرومانى والمسيحى .. وتأتى « حوار » الصادره فى بلد عربى . . ويحرر فيها عرب .. فتعلن على رؤوس الأشهاد : « بهذه القيم نؤمن » ..

ترى هل نؤمن نحن أيضا بهذه القيم . . الرومانية والمسيحية . . أم نؤمن بحضارتنا العربية والإسلامية ؟ !

اللهم فاشهد أننا لسنا المستضعفين فى الأرض ..

وتوينبى أيضا .. ماذا يقول :

« بالنسبة للمجال الاقتصادى تعتبر الجرأه الاقتصادية التى يتسم بها

العالم الغربى المعاصر – إلى أبعد حد – أعظم تراث خلفته عقيدة دينية لحضارة انبثقت عنها[1] ..» «ان الأداة العجيبة الجبارة للتكنولوجيا الغربية ما تزال تبدو كنتاج جانبى للرهبنة المسيحية الغربية » .

ويصف نفسه بأنه من « المؤمنين بأن الدين هو أهم مافى الوجود »[2] « الدين إحدى الملكات الضرورية للطبيعة البشرية ، وحسبنا القول بأن افتقار المرء للدين يدفعه إلى حالة من اليأس الروحى تضطره إلى التماس العزاء الدينى على موائد لا تملك منها شيئا »[3] .

ويروى جيلاس عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى اليوغوسلافى سابقا :

« كان الجنرال كورنيف رئيس البعثة السوفياتية فى يوغوسلافيا يقص علينا دائما ، كيف أن أناسا كثيرين ، وبينهم مسئولون ، اعتبروا العودة إلى الأرثوذكسية ، خلال خطر داهم من الألمان ، عاملا روحيا ضروريا ، وكان الجنرال كورنيف يقول أنه لامانع من انقاذ روسيا بواسطة الأرثوذكسية »[4] .

أريد أن أقول أن الحضارة الغربية مازالت عند صليبيتها ، وأن الدين عامل أساسى فى تكوين هذه الحضارة . . وحكاية نبذ الدين ، وعصر العلم ، والتفسير المادى .. كلها ليست إلا خدعة من طراز الخدعة المنسوبة

---

(١) مختصر دراسة للتاريخ ج ٣ ص ١٥٦ .
(٢) ص ١٧٣
(٣) ص ١٧٩
(٤) محادثاتى مع ستالين ص ٤٧ .

« لعمرو بن العاص » رضى الله عنه ، عندما دعا « أبا موسى الأشعرى » إلى خلع صاحبه ليثبت هو صاحبه .. فهم يدعوننا إلى خلع الإسلام ليثبتوا صليبيتهم .

أو كما قال شكيب أرسلان: «إذن قصة أن أوروبا أصبحت بلا دين .. وأن حكوماتها قد أنكرت المسيحية ، وأن علينا نحن من أجل الرقى أن نقطع علاقتنا بالإسلام ، هذه المعلومات لم تصل إلا إلى أنقره فقط » ١

(١) أعلام العرب ٢٩٩ عن الشورى ٨ مايو ١٩٢٩ .

هذا الصراع الأبدى بين الغرب الصليبى ، والشرق الإسلامى ، والعربى بالذات ، قد اتخذ صورا عديدة . . أولها الحرب الصليبية١ . . عندما استطاع البابا « أربان الثانى » أن يثير صليبية أوروبا من أجل إبادة المسلمين . . فجاءوا إلى الشام ، وخاضوا فى دماء المسلمين ، كما اعترفوا فى زهو ، فى تقاريرهم . .

« وبعد حصار دام تسعة أشهر اقتحموا أنطاكية . . ومن أنطاكية انطلقوا إلى فلسطين تاركين وراءهم جثث مائة ألف مسلم . . وخلال أسبوع كان يذبح النساء والأطفال والعجائز عسكريين ومدنيين . . عرباً ويهود . . فى مذابح لم تفقها فى وحشيتها مذابح أخرى حتى جاء المغول » ٢ .

ولكن الهجوم الصليبى انتهى بالفشل ، فقد أثار مقاومة المسلمين ، وتدفقت دماء جديدة من شعوب مسلمة ، جددت الحضارة ، وداقعت عن الإسلام بعد أن رقت الدماء العربية ، ووهن الساعد العربى . . فحمل اللواء الأكراد ثم الشراكسة . . ثم العثمانيون . . وذادوا عن الهلال . . بل وطاردوا الغرب حتى أسوار فيينا .

---

(١) ٤٩١ هجرية ـ ١٠٩٧ ميلادية .

(٢) كتاب « العرب » لانطونى ناتنج ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

وبمرارة تثير السخرية يلخص « رشتر » هزيمة الحروب الصليبية قائلا : « جهد الصليبيون طوال قرنين لاستعادة الأرض المقدسة من أيدى المسلمين المتعصبين ، فكان عهد الحروب الصليبية من أجل ذلك أروع العهود فى العصور الوسطى كلها .. ولكن ذلك الجهد قد خاب ، وتراجعت الحملة الصليبية أمام سدود عنيدة من التعصب الإسلامى » [1] .

صدنا للغزو الصليبى كان تعصباً ! .. ما أشبه ذلك بالتقدميين للمعاصرين الذين يصفون مقاومتنا للغزو الفكرى بالتعصب !

وبهزيمة الصليبيين ، أيقن الغرب أن المقارعة وجها لوجه لا تجدى . فبدأت سياسة تطويق الإسلام .. وتخريبه من الداخل .. انطلقت السفن تطوق العرب .. فطافت حول أفريقيا ، تنهب وتدمر وتقيم أكبر سوق للرقيق فى تاريخ البشرية ..

وأغارت على الأطراف القصية من الوطن الإسلامى .. أندونيسيا الفلبين .. الملايو .. أفريقيا الغربية .. الهند .. إلى جانب التوسع الروسى فى آسيا المسلمة ..

وقد وصف « توينبى » نهاية هذه المرحلة .. أى مرحلة التطويق بقوله :

« وهكذا فى لمحة البصر ، اختطف البرتغاليون من أيدى العرب ، السيادة البحرية على المحيط الهندى .. بينما كان الرواد البرتغاليون المجتهدون شرقا يحدقون ـ بحركة خاطفة من التوسع البحرى للغرب ـ

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١١٥ .

بالعالم العربي الإسلامي من الجنوب ، كان ملاحو الأنهار من القوزاق يتجهون شرقاً ويوسعون حدود العالم الروسي ، بنفس السرعة والاكتساح ، وذلك بإحداقهم بالعالم الإيراني الإسلامي من الشمال ، ولقد فتح الطريق أمام القوزاق ، القيصر المسكوفي إيفان الرابع حين استولى على قازان عام ١٥٥٣ ، إذ كانت قازان قلعة العالم الإيراني الإسلامي عند حدوده الشمالية الشرقية » .

« وهكذا ـ يقول توينبي ـ في غضون فترة تقل عن القرن ، لم يقتصر الأمر على الإحداق بالعالم الإسلامي ـ الذي كان شركة بين المجتمعين العربي والإيراني ، ولكن أمكن تطويقه تماماً . ففي أواخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر ، وضع الطوق حول رقبة الفريسة » « كما انقضى وقت طويل ، قبل أن ينتبه المسلمون أنفسهم إلى ما يجب عليهم عمله لمجابهة الموقف ، وتبلور هذا العمل بالنسبة للجانبين الغربي والروسي ، في الانقضاض على فريسة عاجزة عجزاً واضحاً [١] » .

وجنباً إلى جنب مع عملية التطويق بالمدافع والجيوش كان التسلل إلى داخل القلعة .. عن طريق المبشرين .. قال « أدوين بلس » في كتابه « مشروع التبشير » : « إن أول من تولى التبشير هو « رامون لل » الأسباني بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها ، فتعلم « لول » اللغة العربية بكل مشقة وجال في بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة » .

وما زال المبشرون يحملون الروح الصليبية إلى يومنا هذا .. وقد أورد كتاب ، «التبشير والاستعمار » نصاً للأب شانتور رئيس الكلية

(١) توينبي مختصر دراسة للتاريخ ج ٣ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

اليسوعية فى بيروت زمن الاحتلال الفرنسى ، يوم كان الكلام تحميه المدرعات والدبابات والبوارج فى البحر .. وقبل أن يضطرهم استقلال إلى تغليف النوايا ، والدوران حول الهدف . واستئجار المتكلمين ..

يقول الأب شانتور : « ويأتى المبشر تحت علم الصليب .. يحلم بالماضى وينظر إلى المستقبل ، وهو يصغى إلى الريح التى تصفر من بعيد ، ومن شواطىء رومية ، ومن شواطىء فرنسا .. وليس من أحد يستطيع أن يمنع الريح من أن تعيد على آذاننا قولها بالأمس ، وصرخة أسلافنا (الصليبيين) من قبل : إن الله يريدها ١ » .

وهى صيحة الحرب الصليبية !

كانت عمليه التطويق مستمرة ، وكان على المبشرين القيام بمهام التجسس ، استطلاع نقط الضعف وكشفها فى داخل القلعة العثمانية فى ذلك الوقت ، وشراء العملاء وبث الأعوان ، ونشر الفتن ..

والمبشرون أنفسهم يعترفون بالعجز عن تحويل المسلم عن دينه .. يقول « شاتليه » فى البحث الشهير المعروف باسم « الغارة على الإسلام » :

« من النادر المستغرب أن تقع حوادث التنصير فى بيوت السادة العلوية ، وبين البلتان (الأفغانيين) الخلص الموجودين فى بلاد الهند ، أو مشايخ الهند وجيرانهم الأفغانيين والأتراك والتركمانيين ، والعرب الحقيقيين والبربر »٢ .

---

(١) ص ٣٨ .

(٢) ص ١٢

أى كل المسلمين .. ولله الحمد ! . .

ونفس الخيبة يعترف بها المبشر رايد فهو يقول : «ثم إن ذلك الحاجز العظيم الذى يدعى عادة بالتعصب ، هو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره ، قد بناه الإسلام حول أتباعه ليحميهم فى داخله ، وليترك المبشر خارجه . إنه جدار طالما أثبت ، مع الأسف ، أن تسلقه أو اختراقه مستحيل . ان رجالا (يقصد المبشرين) قد عملوا سنين متوالية ، وفى مدينة واحدة ، ثم لم يستطيعوا أن يكتسبوا صديقاً أو صديقين »[1] .

هذا السور العظيم من التعصب ، هو التفوق « العقائدى » الساحق الذى يستشعره المسلم ، والذى يجعله ، وإن صبر على سخافات المبشرين ، تحميهم الأسلحة الأتوماتيكية ، ويبتزون سكوته بمتاجرة رخيصة بالعلم الإنسانى ... بالدواء والعلاج .. بآلامه مقابل بعض التراتيل . .

إن صبر المسلم ، المحتلة بلاده ، على هذا البلاء ـ لا يعنى اقتناعه بسخافات أعمالهم ..

وهذا الإحساس بالتفوق « العقائدى » عند المسلم هو سر بقاء الأمة الإسلامية وعصمتها من الفناء ، رغم وقوعها تحت التفوق الساحق لخصمها الشرس ، الذى يملك من وسائل الإفناء والتدمير ما لم يتح لمنتصر ، على طول عصور الإفناء والتدمير ، وعلى كثرة ما انقرض من الأمم وباد من الحضارات . .

يقول الن مورهيد :

« قد يتبادر إلى الذهن أن نفوذ المسيحية الغربية كان عظيماً جداً فى

---

(١) ص ٤٧ .

هذه الرقعة المضطربة ، مادامت تظاهره الأسلحة الغربية ، ولكن الأمر لم يكن على هذا النحو .. بل لم يستطع أحد من المسيحيين الغزاة منذ بونابرت إلى يومنا هذا .. أن يثبت عقيدته على ضفاف النيل . . ولا يزال كل من الإمام المسلم ، والقس القبطى ، رابضاً فى موقعه بثبات كما كان دائماً . . ومن هذه الناحية على الأقل ، فإن سكان وادى النيل لم يقهروا أبداً .. » ١ . .

ومع ذلك فلا يمكن القول بأن التبشير قد فشل فى مهمته .. لأننا لا نصدق أن التبشير كان لهدف دينى .. لهداية الضالين .. بل كان رسول الاستعمار المتوحش الظالم .. ولو كان للهداية لما استهدف الوطن العربى .. فنحن لا نحتاج إلى مبشرين .. ومن أرضنا خرج المسيح .. وفى بلادنا أقدم الكنائس٢ .

والتبشير عملية عدوانية سواء على المسلم أو النصرانى العربى ، لأن التبشير فى بلادنا تباشره الكنيسة الكاثوليكية الموالية لفرنسا ، أو الكنيسة البروتستانتية التى تخدم المصالح الأمريكية والإنجليزية . . وهما يعملان أساساً على تحويل نصارى الشرق إلى المذهبين الكاثوليكى والبروتستنتى ٣ .

---

(١) النيل الأزرق ص ٢٧٦ طبعة لندن .

(٢) تعتمد الجمعيات التبشيرية فى تمويلها على جهل مواطنيها ونحن نذكر قصة الامريكية العجوز التى أنعمت سرورا عندما اكتشفت أن الشاب الفلسطينى مسيحى . فسألته والدموع فى عينيها . . أى جمعية تبشيرية قامت بتنصيره ؟ ! فقال لها أنه هو واجداده نصارى . . لأنه من القرية التى ولد فيها السيد المسيح !

(٣) من مقال لرشيد سليم الخورى : « أن طوائفنا العديدة .. قد زيدت بفضل تعرفنا على الارسالية الأمريكية طائفة جديدة اسمها الطائفة الإنجيلية .. وكم =

ولا حاجة لتأكيد الخلاف الحضارى والتاريخى ، بين المسيحية الصليبية الغربية [1] التى نعنيها بنقدنا ، وبين نصرانية الشرق التى هى جزء من حضارتنا . .

التبشير لحساب كنائس الغرب عمل عدائى ، ليس ضد المسلمين وحدهم بل ضد الكنائس الشرقية أيضاً . . والتبشير كان يمهد للغزو المسلح ، ثم يدعم النفوذ الاستعمارى . . ويشهد بذلك المبشر السابق ، والذى أسلم وتسمى إبراهيم خليل أحمد . . [2] إذ يقول بعد خبرة سنوات فى العمل مع المبشرين .

« يعمل المحفل العام على تمكين النفوذ الاستعمارى فى البلاد الآسيوية والإفريقية تمكيناً سياسياً واقتصادياً ، يجعل تلك الشعوب تؤمن إيماناً راسخاً أن لا حياة لها ، إلا بمساندة الدول الاستعمارية (إنجلترا أو أمريكا) [3] » .

« لقد سخر المستعمرون منا ، ونحن نهلل لخروجهم ونطبل لجلائهم. وما كنا نعلم أن جيش المبشرين لا يقل خطراً على استقلالنا ، وخطباً على حريتنا عن قوة المحتلين وجيش الاحتلال » [4] .

= أنفق الأمريكيون . . لكى يعرفونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه . . كأننا اشد افتقارا إلى فضائل المسيحية من الأمريكيين أنفسهم ! » .

(١) رأينا كيف يميز كتاب الغرب أنفسهم بين المسيحية الغربية والكنائس الشرقية .

(٢) قسيس الكنيسة الانجيلية بباقور محافظة أسيوط سابقا .

(٣) المستشرقون والمبشرون ص ٢٩ .

(٤) جريدة « الثورة » السودانية .

« ولكم وددت لو أنه أخذت صور عديدة لكنيسة « واو » وبداخلها عشرات البنادق التى وجدت بداخلها ، فإن صورة كهذه لتعد أبلغ دليل وأقوى شاهد على أن الإنجيل فى كنائس الجنوب قد تحول على أيدى القسس والمبشرين الأجانب إلى بنادق ، ليقتل بها أبناء الوطن الواحد بعضهم بعضا » [١]

« تحت ستار الدين يجمعون التبرعات . . وتحت أقبية الكنائس يدربون برادعهم على أعمال التخريب .. وفى خارج البلاد تنظم شبكاتهم ومن خلفها قوى الاستعمار أقذر الخطط لفصل الجنوب [٢] » .

ويكشف المبشر البروتستانتى السابق ، كيف تدير الكنيسة الأمريكية العمل فى تكتم وسرية وترفع ، حتى عن التابعين لملتها من الوطنين :

« إن المرسلين الأمريكيين هم السدى واللحمة فى نسيج الكنيسة الإنجيلية المشيخية ، وهم يستأثرون باجتماع خاص لهم ، لا يسمح لأجنبى بالدخول فيه ، وينعقد هذا المجمع فى أواخر شهر يناير من كل سنة ، ومقره الدائم كلية أسيوط الأمريكية الثانوية بأسيوط » [٣] .

من غير المعقول أن نقبل هذه الوصاية الدينية علينا . . وكنيستنا تباشر طقوسها قبل أن يتنصر أى أمريكى بخمسة عشر قرناً على الأقل . . [٤]

---

(١) « الرأى العام » السودانية .

(٢) السودان الجديد .

(٣) المستشرقون والمبشرون ص ٤٧ .

(٤) « إن الله لم يقل أنه لا يقبل دعاء السود إلا إذ جاء عن طريق البيض » (الرأى العام السودانية) =

كان هدف التبشير كما رأينا ، هو التمهيد للغزو المسلح ؛ ثم تدعيم هذا الغزو . . ولكن خبرة المبشرين أثبتت استحالة تنصير المسلمين ، بل اكتشفت أن الهجوم السافر يستفز عناصر المقاومة ولو من باب العصبية . كذلك كان المبشرون يعرفون أن عصر السيطرة الاستعمارية إلى زوال ، وأن القوة المسلحة التي ساندت تصرفاتهم الوقحة . . زائلة . . ومن ثم أعدوا سلاح الغزو الفكرى :

أى إعادة ترتيب عقل المسلم ، بحيث يفكر منطلقاً من مقدمات صليبية يأخذها على أنها هى الحقائق ، فيخرج منها بنتائج صليبية . . دون أن يخلع دينه ، ولا حاجة إلى تعميده بالماء المقدس فقد عمد بالفكر غير المقدس . .

وإذا تشرب المسلم طقوس الحضارة الغربية ، واطمأن إليها ، بل وأيقن بتفوقها عليه . . لا مجرد التفوق المادى ، بل أيضاً الفكرى ، والروحى . . انهارت مقاومته . . وأصبح كالمدينة المفتوحة ، مستباحة لكل ناهب ومقتحم . .

إن سبيل البعث لكل حضارة . هو إيمانها بتفوقها ، اعتزازها بخصائصها . .

وما أسخف أن نتهم بمعاداة التقدم العلمى أو التكنولوجيا الغربية ! .

بالعكس . .

= « إن المسيحية ليست تكنيكا عصريا استوردناه من أوربا وأمريكا وتحتاج أجهزته إلى خبراء أجانب » صحيفة أنباء السودان .

إن هذه التكنولوجيا ، هى التى قهرتنا وأذلتنا ومكنت لكل حقود لئيم لكى يبدى شماتته فينا . . إن هذا التفوق الآلى ، هو الذى سمح لقيم أكثر تخلفاً وأقل سمواً من أن تسود قيماً أعلى وأسمى . .

إننا ونحن نؤمن بالحرب الأبدية ضد الحضارة الغربية ، ونؤمن أن هذه الحضارة لا يرضيها فينا إلا الإفناء أو الإذلال . . نعرف أن علينا استيعاب كل صغيرة وكبيرة فى حضارة العدو . .

إن الذين يحسون بانتمائهم لهذه الحضارة الغربية ، وانتسابهم لها . . لا يحرصون فى الحقيقة إلا على استيراد بعض منتجاتها ، أما الذين يعدون أنفسهم لحرب مصير ضدها ، ويؤمنون أنهم ورثتها . . فهم يجبرون على الغوص فى أعماقها لتلمس أسرار قوتها ونقط ضعفها . .

والقضية بمنتهى البساطة ، تبدأ بالتسليم بانقسام العالم إلى مجموعات حضارية قد نسميها أمماً ، بشرط ألا نلتزم بأى تعريف للأمة نابع من التجربة الأوروبية . . إذ أن الأمة والقومية لها خصائص خاصة فى الحضارة الإسلامية . .

وهذه الأمم تتبادل الدورة الحضارية . . فليس فى التاريخ ما يسمى بالحضارة العالمية . . بل هناك حضاره متفوقة ، وهى فى سعيها للسيطرة على العالم ، تزعم أنها حضارة عالمية . . وباسم العالمية والأممية تدعو الآخرين إلى التخلى عن قوميتهم وسيادتهم ، تنحية حضارتهم ، والفناء أو الولاء لحضارتها المتفوقة . .

وبقدر إيمان الحضارة المتفوقة ، بالعالمية ، وإصرارها على أن يسود

الجنس البشرى نظامها السعيد ، تكون وحشيتها ودمويتها ١ .

وإنسانية حضارتنا تكمن فى أنها لم تبشر بيوم يصبح الناس فيه أمة واحدة ، بل لعلها الحضارة الوحيدة التى آمنت باستمرار التمايز الأبدى بين المعتقدات ، إذ لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة . .

وفى هذه الرقعة من العالم تتقابل الحضارة المسيحية الغربية مع الحضارة الإسلامية العربية .

والغرب يفهم أفضل من بعضنا — للأسف — الارتباط الوثيق بين العروبة والإسلام ، ويفهم أن أنجع السبل لقتلهما معاً .. هو فصلهما عن بعض ، أو الوقيعة بينهما ليفصلا بأيديهما ماشاء الله له أن يتصل ..

ألا يقول « موروبيرجر » فى كتابه العالم العربى اليوم :

« لقد ثبت تاريخياً أن قوة العرب تعنى قوة الإسلام ، ونفس الشىء يمكن أن يتكرر اليوم حيث يحرز الإسلام انتصارات واسعة فى أفريقيا » .

ويقول المعلق الألمانى « هنريش كاستر » :

« ربما كان من الخطأ أن نخلط بين الإسلام والقومية العربية ولكن لا يقل خطأ عن ذلك أن نحاول التغاضى عن العلاقة الوثيقة بين الاثنين » ٢ .

---

(١) ليس هناك مثال اعلى واحد ، وإنما هناك انظمة من التفكير لا حصر لها ، فى هذه الأرض . جيلاس .

(٢) راجع « الغزو الفكرى » للمؤلف .

وهذه المواجهة الحضارية ، يفهمها الغرب الصليبي على أنها حرب إبادة يتحتم عليه فيها ، أن يبيد الإسلام من هذه المنطقة . . وقد حاول ذلك بالسيف والصليب فى الحروب الصليبية الأولى . . ثم بالمستشفى والصليب والأساطيل والمدافع والاحتلال العسكرى فى الحرب الصليبية الثانية . . ثم بالغزو الفكرى .. بنسف الإسلام من الداخل .. فى الحرب الصليبية الثالثة التى نخوضها اليوم . .

الصِّراع

بيننا وبين الغرب الآن ، يدخل مرحلة حادة وحاسمة لسببين :

السبب الأول : أن الغزو العسكرى قد تراجع ، وهذا يستدعى من الغرب مضاعفة هجومه الفكرى ، وكذلك سهلت مهمة هذا الغزو الفكرى ، لأن الاستفزاز الصارخ الناجم عن وجود الراية الأجنبية قد زال . . وزال معه ، أو قل خفتت ، حدة الرفض الشامل لكل مايقوله المستعمر . وبالتالى سهلت مهمة الخونة والعملاء والمدلسين . .

كنا فى الماضى يسهل علينا الربط بين أقوالهم وصلاتهم وأسيادهم ، أما اليوم فيستطيع كل عميل أن يتستر بالوطنية والتقدمية والفكر الحر أو المتحرر ! . .

وهم اليوم يضاعفون تخريبهم على نحو ما كان يجرؤ عليه أسيادهم . .

لقد احتلت فرنسا المغرب العربى أكثر من قرن فلم تجرؤ على المساس بنظام الأحوال الشخصية ، وعندما حاولت أن تشرع قانونا يخرج البربر من دائرة هذا القانون .. جوبهت بمقاومة شاملة من العرب والبربر ..

ولكن .. أيتام فرنسا فعلوا بعد الاستقلال !

والسبب الثانى : الذى يزيد اشتعال العداوة بيننا وبين الغرب المسيحى ، ويثير الحرب الصليبية الثالثة .. هو استقلال أفريقيا .

والمعركة الدائرة الآن فى أفريقيا هى بوضوح .. معركة إسلام القارة.. أى استقلالها الحقيقى ، وتضامنها مع العرب « مادة الإسلام » كما سماهم عمر بن الخطاب ..

أو استسلامها للمبشرين ، فترتبط بالغرب وتصبح اسفينا فى ظهر العرب.

« ولو أنه من الصعب التنبؤ الآن .. إلا أنه يمكن القول بأنه خلال الجيل أو الجيلين القادمين ، سيكون إسلام أفريقيا فيما وراء الصحراء ، هو أهم عامل فى تطور هذه البقاع الشاسعة[1] » .

والمطابع الغربية تخرج الآن كتابا كل يوم عن أفريقيا .. وما من كتاب يخلو من التحذير من خطر انتشار الإسلام فى أفريقيا .

وكل أجهزة الإعلام الاستعمارية مجندة الآن لتشويه المسلمين والعرب .. والحديث السمج عن الرق .. والزعم بأن المسلمين هم الذين تاجروا فى الرقيق .. ناسين أن ملكة بريطانيا كانت تتقاضى حصة فى أرباح تجارة الرقيق نظير استخدام أسطولها .. وأن البابا كان يتلقى هدايا .. شحنة من العبيد الأشداء ! .. ناسين أن سفن أوروبا الكاثوليكية هى التى نقلت إلى الدنيا الجديدة .. إلى أمريكا البروتستانتية .. أجداد عشرين مليون زنجى .. مازالوا فى الولايات المتحدة وحدها .. شاهدا حيا يخرس لسان كل صليبى .. يتشدق بالرق عند العرب ! .

« ان مستقبل نفوذ ناصر ، ونفوذ العرب فى أفريقيا .. ما بعد الصحراء .. مازال غامضا .. ولكن الأمر الواضح هو وجود عوامل مضادة لنشاط ناصر والدول العربية الأخرى فى أفريقيا ..

---

(١) العرب والعالم : تشارلس كريمنز .

إذ أن أى قدر من الدعاية والديبلوماسية لايكفى لتغيير حقيقة أن العرب غرباء فى وسط افريقيا وجنوبها .. ربما لايمكن اعتبارهم أجانب بنفس الدرجة التى ينظر بها للأوروبى .. ولكنهم أجانب على أية حال ..

وكفاح العرب الحديث ضد الاستعمار وسياسة التضامن الآسيوى ـ الأفريقى ، لم تمح بعد ذكريات أن العرب كانوا تجار العبيد فى أفريقيا (وسنرى أننا عن طريق أستاذ معهد الدراسات الأفريقية ، نساهم فى ترويج هذه الأكذوبة المغرضة) .. ومحاولات المصريين إقامة إمبراطورية أفريقية من عهد محمد على إلى الخديو اسماعيل[1] » .

وإسرائيل كعدو قومى تمارس الحرب ضدنا فى أفريقيا بالهجوم على الإسلام والمسلمين .. وتهاجم الدول الإسلامية . . لأنها تعرف أن الإسلام هو سبيلنا الوحيد لأفريقيا . . . ولا شىء غيره . .

إسرائيل تخوف الأفريقيين من الحج .. نعم ! .. إسرائيل تعرف أن موسم الحج كفيل بأن يربط الافريقى إلى الأبد بالإسلام والعرب .. هناك يرى المساواة الحقيقية ، والأخوة الصادقة التى يتعطش لها الافريقى .

ولو أنفقنا مافى الأرض جميعا فى الدعاية ما أثمرت مثل تأثير حجة واحدة يذهب فيها الإفريقى إلى مكة ، ويطوف مع الطائفين من كل لون وجنس .. ويلمس مع اللامسين « الحجر الأسود » أشرف حجر فى الكعبة . . وان كان لايضر ولا ينفع . .

إسرائيل تعلم ذلك كله . . لذلك أنتجت فيلما اسمه « تجارة العبيد » علقت عليه « الأهرام » قائلة :

---

(١) العرب والعالم ص ٢٧٢ .. شارلز كريمز .

« أهداف الفيلم .. التشهير بالعرب والإسلام والمسلمين فضلا عن الأفريقيين ، ويسير الفيلم فى نفس الخط الدعائى الصهيونى الذى يستهدف الإيقاع بين الدول العربية والإفريقية ، فالعرب قوم لايهمهم من الدنيا إلا تجارة الجسد وشهواتها ، والعبيد وسيلة من وسائل لهو السادة العرب ، والعرب هم الذين يقومون بالإغارة على الأفريقيين العزل لا تخاذهم عبيدا لأن ثروة العربى تقدر بما يقتنيه من عبيد ، ويتخذ العرب من الحج ذريعة للاثراء عن طريق بيع من يسافرون معهم إلى الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج » ١ .

إسرائيل والغرب كله ، يعون خطورة انتشار الإسلام فى أفريقيا .. ويدركون أن الإسلام هو الرباط الوثيق بين أفريقيا السوداء والعرب ..

يقول تشارلزكريمز مستشار الحكومة الأمريكية لشئون الشرق الأوسط : « الإسلام . ولو أنه يعنى القليل بالنسبة لعلاقات العرب مع تركيا وإيران .. إلا أنه يمكن أن يشكل صلة هامة بين العرب والمسلمين فى حزام عريض جنوب الصحراء الإفريقية . . إن ظاهرة من أكثر الظواهر إثارة فى افريقيا المعاصرة هى السرعةالتى يكسب بها الإسلام مؤمنين جددا بين الشعوب التى تخلت عن معتقداتها القبلية البدائية ، وتنفر من المسيحية لأنها دين الرجل الأبيض . ومصر تبذل جهدا له اعتباره ، لتحويل هذا الانتشار إلى ميزة سياسية ٢ . .

---

(١) الأهرام ٢٢ / ٣ / ١٩٦٥ .

(٢) العرب والعالم ص٧٣ طبع فى لندن ونيويورك لحساب « مجلس العلاقات الخارجية » .

وهنا أرانى مضطراً إلى التوقف لأقدم للقارىء كتابا . . يردد نفس الاقاويل عن العرب والرق !

اسمعوا . . واشهدوا . . فأنا من المتعصبين :

« فى خلال القرون التى أعقبت نزول المسلمين إلى «الدهلك» والموانى القريبة كان النشاط المثمر يظهر فى تجارة الرقيق ، ولم يكن ذلك شيئا جديدا ، فقد كان الساميون يعتبرون بلاد السود البلاد المختارة للغنائم من الرقيق (الساميون فقط . . تأمل !) . .

فقد كانت بغداد حاضرة الخلافة الاسلامية فى ذلك الوقت وغيرها من الحواضر الإسلامية (فقط ؟ !) قد ذخرت بقصور الخلفاء والوزراء وكبار الدوله ، وأفرط القوم فى اللذائذ يتفننون فى الاستمتاع بها ، وكان كل خليفة يعلو درجة فى سلم الترف عمن قبله ، وأكثروا من الرقيق ، فألحوا فى طلبه حتى كان البيت الإسلامى وخصوصا بيوت الأغنياء عصبة أمم . فكان للرشيد على ما قيل زهاء ألفى جارية ، وللمتوكل أربعة آلاف من مختلف الأجناس أغلبها من أسواق النخاسة ، وانتشرت تجارة الرقيق فى المملكة الاسلامية(١) » .

انتظر ! !

ليس هذا كل شىء . . إنه يقول :

« ولا نستطيع أن نغض النظر عن أثر الرق كعامل له قوته فى تحديد الاختلاط الدينى والسياسى ، وما ينتجه هذا الاختلاط من تطور ، فقد ساعد هذا الهجوم الخاطف السريع على انتشار الاسلام انتشارا واسعا

---

(١) الإسلام فى اثيوبيا ص ٥٧ .

فى أفريقيا الوثنية على مدى واسع ، لأن القبائل الضعيفة التى كانت عرضة للهجوم المتوالى من جيرانها لم يكن لها مهرب أمامها إلا الارتماء فى أحضان الاسلام » ١ .

هل أسلمت مصر خوفا من الاسترقاق ؟ !

الإسلام يكتسح أفريقيا بلا سيف ولا رق ، ورغم أنف القنبلة الذرية الأمريكية . .

اسمعوا :

« وكانت الدهلك بطبيعة الحال مركز تجارة الرقيق ، وخاصة بعد أن أنشئت فيها إمارة لها أسطول تجارى ، عنى المؤرخون العرب بالتغنى به ، وقد امتد نفوذ حكام اليمن إلى الدهلك ، وأصبحوا يأخذون جزية من والى الجزر ألف رقيق ، نصفهم من النساء الاتيوبيات لنحافتهن ورشاقتهن ، وقد لاحظ كونتى روسينى أن هؤلاء النساء كن يثرن إعجاب الشباب » .

أى ذكريات طيبة يثيرها بين الاتيوبيين نحو العرب ؟ !

« فخلفهم أخوهم الرابع جمال الدين محمد بن سعد الدين ، فضم إليه « بالى وهديه » اللتين كانتا تخضعان للنجاشى وتدفعان له جزيه سنوية ، فازدهرت فى أيامه تجارة الرقيق مما كان يغنمه فى غزواته على البلاد المسيحية ، فامتلأت أسواق الهند واليمن والحجاز ومصر والشام والروم والعراق وفارس برقيق اتيوبيا الذين سباهم » .

---

(١) الإسلام فى اتيوبيا ص ٥٨ .

وأيضا . .

« وتجارة الرقيق ، وما تدره من أرباح تفوق حد التصور ، تغرى كثيرين على احترافها ، ولذا اشتغل بها عدد كبير من العرب ، فيمكننا إذن أن نتصور العدد الكبير من العرب الذى اشتغل بهذه التجارة وكون المراكز التجاريه الكبيرة والصغيرة ، واستقر فى هذه المراكز المنتشرة بين قرى شرق أفريقيا صغيرها وكبيرها » .

هل اكتفى ؟ . . لا . .

« ولكن الاسلام وحد بين العرب وحد من خصوماتهم ، وأوقف غزواتهم التى كانوا يشنونها على بعضهم ، كما حرم أن يسترق مسلم مسلما ، وبذلك نقص مورد من موارد الرقيق الذين كان يعتمد عليهم العرب فى حراسة قوافلهم وزراعة أرضهم وخدمتهم ، فلابد إذن من تعويض هذا المورد الذى قطعه عنهم إسلامهم ، وليس هناك من مكان يستطيع أن يسد هذا النقص سوى الساحل الأفريقى للبحر الأحمر وما يسكنه من مورد لا ينقطع من شعوب سوداء ، فلابد إذن من أن تنشط تجارة الرقيق بعد الإسلام عما كانت قبله ، وأن يشتغل بها عدد كبير ، وأن يحتاج إلى عدد ضخم من الأعوان والمعاونين [1] » .

أرأيت ؟ ! هذه هى علاقة العرب بافريقيا والشعوب السوداء . . قبل الإسلام تاجروا فيهم . . فلما جاء الإسلام نشطت التجارة أكثر . . فهل اشتفى ؟ ! . . لا . . ليس بعد . وفى تملق للحكومة الاثيوبية ، يقول :

---

(١) ص ١٠٠

« ولكن نوعا من هذه التجارة لا يمكن أن ينشط برضاء الحكومة السليمانية القوية . ذلك هو تجارة الرقيق، فلايمكن لحكومة تحترم نفسها ، وتحافظ على رعاياها ـ أن تسمح أن يكون أهلها تحت رحمة هؤلاء النخاسين ، وخصوصا وأننا نعرف أن ليس هناك من شيء يعرضهم لهؤلاء التجار إلا كونهم مسيحيين (١) فلو كانوا مسلمين لما تعرض لهم التجار بشر . . فلا بد أن هذه التجارة قد تعرضت لتضييق الحكومة السليمانية » ١ .

للاسلام رب يحميه . .

فلن نتحدث عن هذا الطعن فى الإسلام والدس عليه . .

دعنا من ذلك . .

ولو اقتصر الأمر على هذه الشنشنة ، لما توقفنا عند هذا الكتاب . . ولا عتبرناه مجرد نشرة دعائية سمجة لسفارة اتيوبيا . . وحسبك بكتاب يقول أن الحبشة لم تعرف النظام الإقطاعى قط ٢ ! . . فهذا المعجب بالحضارة الحبشية ، لايستحق أن يؤخذ على محمل الجد . .

---

(١) ص١٣٧ .

(٢) فى صفحة ١٣ من الكتاب المذكور . . وإذا كانت الحبشه لم تعرف حتى الآن أن ذلك الذى تعيش فيه أسمه الاقطاع . . أما كان واجبه أن يعرفها ؟! ولكن لنسمع ماذا يقول اونالد لوتشيم فى صحيفة سكو تسمان البريطانية (ابريل ١٩٦٥) :

« طوال العام الماضى أخذت تدور فى اتيوبيا عملية شد وجذب عنيفة حول مسألة تضرب فى جذور النظام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى التقليدى لهذه البلاد . . والمسألة هى الاصلاح الزراعى الذى يعتبر مفتاح تحويل هذه المملكة =

ولكن . .

الكتاب طبع فى القاهرة . . والمؤلف دكتور مصرى . . ويدرس فى معهد الدراسات الافريقية . .

المسألة إذن أكبر من عصبية دينية . . أكبر من تزييف التاريخ أكبر من نشرات سفارات . . المسألة تمس سياستنا القومية فى افريقيا . .

هل نفتح معهد للدراسات الافريقية لنعلم الطلبه الافريقيين فيه أن العرب هم تجار الرقيق ، وأن هذه التجارة تضاعفت بظهور الاسلام !..

أليس هذا تشهيرا بالعرب والاسلام . . ودسا عند الافريقيين ضد العرب والاسلام ؟ ! . .

أروني مصلحة قومية واحدة ، أو شبهة مصلحة قومية فى كتابة هذا الكلام . . ونحن نصمت فلا ننطق أبداً . .

لنقرأ مرة أخرى تعليق الأهرام على الفيلم الإسرائيلى « تجارة العبيد» ..

= التى يبلغ عمرها ثلاثة آلاف عام إلى دولة زراعية حديثة. إن المشكلة تتعلق أساسا بالسرعة التى يجب الأخذ بها . . ولا يشك أحد فى أن إصلاحا زراعيا رئيسيا سوف يحدث يوما ما . . ذلك أن نظام تمليك الاراضى يكاد يكون نموذجا للمجتمع الاقطاعى فى أوربا العصور الوسطى . . إن ٣٠ ٪ فقط من سكان البلاد البالغ مقدارهم ٢٣ مليون نسمة يملكون أرضا زراعية ، وأكثر من نصف مساحة الأرضى المنزرعة يسيطر عليها (١٠٠) مائة من كبار ملاك الأراضى . . وفى ظل القانون الحالى يسمح للمالك الأرض بان يحصل على ٧٥ ٪ من انتاج المستأجر » انتهى كلام سكو تسمان .. البريطانية .. وصدق مؤلف الاسلام فى اثيوبيا .. اثيوبيا لم تعرف الاقطاع !! نعم ذلك شىء سابق على الاقطاع بملايين السنين .. ان الأقطاع نظام ثورى بالنسبة لهذا الشىء ولان سكوتسمان تحترم الكتابة والقراءة فهى تنقل لقراءها الحقائق .. أما نحن ؟!

ثم نقرأ الترجمة العربية على نفس الفيلم لندرك أن الغزو الفكرى أخطر بكثير من حملات الأعداء فى الخارج ..

إن فيلما ينتج فى إسرائيل سيقابل بالرفض من أصدقائنا فى إفريقيا ، وبالشك من جانب المحايدين ، وبالفرحة ولكن على استحياء من أعدائنا .. ثم هو على أية حال .. مجرد فيلم ، يحاول منتجه الصهيونى أن يدلس على الافريقيين بالزعم أنه قصة حقيقية ..

ولكن كتاباً يصدر فى القاهرة ، ويزعم أنه يستند إلى التاريخ ويتلاعب بالاستشهادات .. كأن يضع المصدر حول لفظة واحدة بطريقة توحى أن الفقرة كلها مقتبسة من مرجع إسلامى ..

مثل هذا الكتاب يثير الألم عند أصدقائنا .. والحرج والدهشة عند المحايدين .. والفرحة الخبيثة عند الخصوم ١ .

إذن ..

الحرب سجال .. بيننا وبين الحضارة الغربية .. وأرض المعركة الآن هى الفكر .. محاولة اقتحام القلعة الاسلامية بالأفكار والمبادىء والقيم ... حتى يتم خلع القيم الإسلامية .. وتدمير المثل العربية لكى يتحول المواطن العربى إلى قرد يحاكى الحضارة الغربية ، ويقضى العمر فى اقتفاء أثرها بلا أمل فى التفوق .. وبلا شخصية .. قد رضى بدور الظل .. وأنى للظل أن يسبق سيده ؟

فأين الماركسية من ذلك . ؟ !

---

(١) سنتناول هذا الكتاب بالتفصيل فى الطبعة الثانية من « الغزو الفكرى » .

قبل أن نتحدث عن الماركسية كطابور فى جيش الغزو الفكرى ، لا بد أن ننتهى من نقطتين ، يثيرهما الماركسيون ، ويتعمدون دائما أن يتستروا خلفهما . . وأعنى بهما :

- العلاقات الدولية مع البلدان الشيوعية أو ما يسميه الماركسيون العرب ، بالمعسكر الاشتراكى .
- والاشتراكية . .

بل وقبل هاتين النقطتين . . لابد من تصفية قضية جزئية : هى الموقف من النظرية الماركسية ، أو الفكر الماركسى المعاصر . . فقد يحسب البعض أن رفضنا للماركسية ، يعنى عدم دراستها أو إهمالها . بالعكس . .

إننا من دين : « اطلبوا العلم ولو فى الصين . . » والصين لم تكن الأبعد مكانا فقط بل والأبعد عقيدة . .

والماركسية كنظرية، تعتبر مفتاحا لفهم طبيعة الفكر الغربى وتطوره.. والفكر الماركسى يلعب دورا أساسيا فى تنظيم سلوك ١٢ دولة شيوعية ، أو ثلث البشرية كما يفخر الشيوعيون . ومهما تكن درجة إخلاص قادة هذه الدول للماركسية ، والتزامهم الواقعى بها .. فهم على الأقل ، يحاولون الاستناد إلى الماركسية فى حيثيات سلوكهم . . ولا بد لنا من الإلمام بالفكر

الماركسى المعاصر وتطوراته ، لنفهم مجريات الأمور فى هذا الجانب من العالم .

كذلك فإن الصراع المصيرى بين روسيا والصين ، عملاقى الشيوعية ، يحتم علينا فهم المسالك المذهبية التى تحفرها التيارات القومية للبلدين المتصارعين ، بعد أن أصبحنا نواجه صور هذا الصراع فى أفريقيا وآسيا .

كل هذا يحتم علينا دراسة الماركسية .. بل نعتقد أننا ، نحن غير الماركسيين ، فرصتنا أكبر فى فهم موضوعى للماركسية وتطوراتها .. بعد ما ثبت أن الالتزام العقائدى يفسد الرؤيا ..

وقد عجز الماركسيون العرب بالذات ، عن فهم التناقض الصينى — الروسى .. بل كانوا يعتبرونه من تقولات الاستعماريين للشوشرة على الاخوة الشيوعية .. بينما كان المراقبون غير الماركسيين يتوقعون هذا الخلاف ، ويلاحظون تطوره ..

وحتى بعد ما شاع وذاع ، وأصبح إنكاره يشكك فى سلامة القوى العقلية لمنكره .. نرى المعلقين الماركسيين — والعرب بالذات — يلهثون خلف تفسيرات « الصراع الايدلوجى » .. رغم احتشاد الجيوش ! ! ! بل ورغم النظرية الماركسية التى كان حجر الزاوية

---

(١) وفى كلمات مؤثرة تذكرنى بمخاطبة التلميذ الفرعونى للآلهة معبرا عن حيرته لاضطراب الفصول ومجىء الشتاء فى الصيف ، والصيف فى موعد الشتاء نتيجة عجز الفلكيين الفراعنة عن حساب ربع اليوم فى السنة الشمسية .. أقول فى عبارات مؤثرة كتب أحدهم فى المصور :

« فماذا يقولون للرجعيين والشامتين ؟ هل يقولون لهم — كما يقول الاستعماريون أنه حتى الأشتراكية ، وسلطة الشعب العامل ، لا تقضى على الخلافات بين السيد والمسود ، والمتخلف والمتقدم ، والأبيض والملون ؟ أم هل يقولون لهم — كما نقول =

فيها إرجاعها كل تناقض أيدلوجى ، إلى تناقضات مادية ، وتعارض فى المصالح الطبقية !

لذلك فدراسة الماركسية لن تجعلنا ماركسيين . . ويجب أن يقوم بها غير الماركسيين ، لأن هؤلاء يشل التحيز تفكيرهم . .

على أننا نعنى بدراسة الماركسية ، دراسة الفكر السياسى المعاصر للماركسيين . . إذ أن النظرية الماركسية كمرحلة فى تاريخ الفكر الاشتراكى الغربى . مكان دراستها هو الجامعات ولمن أراد أن يستزيد ويؤرخ . . إذ لم يعد هناك ما يسمى بالنظرية الماركسية ، أو النظرية العامة للاشتراكية ، التى تنتظم فيها قوانين الحركة للاحزاب الاشتراكية ، والدول الاشتراكية . . تلك النظرية أصبحت فى ذمة التاريخ ..

وإذا كان الحزب الشيوعى الروسى ، يرى أن يوغوسلافيا ، دولة ماركسية — لينينية ، اشتراكية ، بينما يعلن جيفارا .. « أن الشيوعيين

= الصين — ان الاتحاد السوفيتى قد خان الاشتراكية وتحول إلى دولة تقوم بثورة سلمية لاعادة الرأسمالية ؟ أم هل يقولون لهم — كما يقول الاتحاد السوفيتى — ان الصين تتبع سياسة مغامرة قصيره النظر لايهمها أن يموت ثلث سكان العالم أو نصفه فى سبيل « انتصار الاشتراكية » .

الواقع أن أى رد من هذه الردود الثلاثة أو من غيرها ، يمثل هزيمة للفكر الاشتراكى المعاصر ، ويعطى سلاحا للرجعية والاستعمار ، ويضعف الثورة الاشتراكية الفتية الناهضة (المصور ٢٩ إبريل ١٩٦٥) .

يالهى يا آمون ! ها هو البطيخ يظهر فى أوان البلح .. والمطر ينزل فى موسم الفيضان .. يالهى يا آمون .. ماذا نقول عندما يسألنا .. الخ الخ !

(راجع أوراق البردى !)

الكوبيين يعارضون اليوغسلاف تماما ، وأن هناك خطر الاتجاه نحو الرأسمالية فى يوغوسلافيا » ١ ، ويرى الصينيون أن يوغوسلافيا تحولت فعلا « سلميا من الاشتراكية إلى الرأسمالية .. وإلى عميلة للامبريالية الأمريكية » ٢ . . .

إذا كان أساقفة الماركسية لا يستطيعون أن يجدوا فى كتبهم من الهداية والتفاسير ، ما يكفى للحكم على دولة بأنها اشتراكية أو رأسمالية بعد عشرين عاما من فحصها ! .. فلا شك أن الشمامسة يذهبون بعيدا فى غرورهم وحماسهم ، عند ما يزعمون أن باستطاعتهم على ضوء التراتيل الماركسية أن يفسروا لنا واقعنا .. بل وأن يغيروه ! ..

---

(١) حوار مع جيفارا مجلة الطليعة إبريل ١٩٦٥ .

(٢) الثورة البروليتاريه وتحريفية خرشوف ص ٦٨ .

فإذا انتقلنا إلى مناقشة الاعتراض الأول الذى يثيره الشيوعيون .. وهو الزعم بأن رفض الماركسية يفسد علاقتنا بالدول الاشتراكية .. وجدنا أنه زعم باطل . وقد أثبتت التجربة العربية أن أكبر عقبة كانت تفسد علاقتنا بالدول الشيوعية ، هى نشاط الشيوعيين المحليين .

ومن استقراء تاريخ السنوات الأخيرة نجد أن التقارب الكبير بين الدول الشيوعية وبلادنا قد تم والشيوعيون فى المنافى والسجون .. بينما كانت الأزمة الكبرى فى علاقتنا .. والشيوعيون يتمتعون بأكبر فرصة عمل فى تاريخ نشاطهم فى الوطن العربى ..

وفى العراق بالذات حيث أتيحت لهم فرصة العمر ، انتهى كفاحهم لا بكراهية شعب العراق للشيوعية كراهية التحريم فحسب ، بل بمظاهرات فى الموصل تهتف بسقوط الصاروخ الروسى[1] !

---

(١) فى مدينة الموصل ، ومنذ أسبوع فقط رفعت قطعة كبيرة من القماش الأبيض ، وقد كتب عليها بخط رقعة بارز الشعار التالى (يسقط الصاروخ) ورغم مرور هذه المدة على رفع هذا الشعار الغريب فإن الصاروخ المقصود لم يسقط ، فهو ما يزال باقيا وسيبقى إلى الابد فوق سطح القمر ! .. ولن تستطيع قطعة القماش الابيض بشعارها الأسود هذا أن تنال شيئا من عظمة ذلك الصاروخ . وقد يعجب البعض من أمر هذا الشعار ومن أمر الذين رفعوه فى سماء بلد جمهورى متحرر (بلد قاسم !) .

من مقال الصاروخ الروسى يسقط فى الموصل
لداود سليمان كروى . . صحيفة الاستقلال العراقية
٢٥ تشرين ثان ١٩٥٩

ويبدو أن الربط بين النشاط الشيوعى المحلى ، والدول الشيوعية ، ينبع من الإيمان بخرافة مايسمى بالمعسكر الاشتراكى . ونحن نرى أن « المعسكر الاشتراكى » مصطلح تاريخى لاوجود له اليوم ..

فى العالم دول عديدة تأخذ بالنظام الاشتراكى ، ولا تربطها وحدة مذهبية ، ولا وحدة مصالح ، ولا علاقات خاصة تنبع من انتمائها لموقف واحد ! . .

إن العدو الألد لروسيا اليوم .. هو : الصين الشعبية ، وبالمثل يمكن القول أن روسيا هى العدو رقم واحد مكرر للصين الشعبية باعتبار أن الولايات المتحدة تنازعها هذا المركز .. الذى تنفرد به روسيا بالنسبة لألبانيا مثلا . .

ونظرة واحدة على أرصفة القاهرة تكشف أن أجهزة الإعلام السوفيتية والصينية لم يعد يشغلها إلا العداوة فيما بينها .. والمرء يقلب كتاباً سوفيتيا فيجد أن الصين قد اختصت بقاموس الشتائم الشيوعى كله .. حتى لاتجد روسيا كلمة نابية تهديها لأمريكا ! والصين بدورها لا تألو جهدا فى اختراع الصفات والنعوت ، تقذف بها فى وجه الحكومة السوفيتية ، وقيادة الحزب الشيوعى الروسى ..

---

(١) الاتحاد السوفيتى الذى وضع الصواريخ فى كوبا بقصد طمأنتها إلى أنه ينوى الدفاع عنها باعتبارها جزءا من المعسكر اللنينى ـ الماركسى ، اتخذ قرار سحب الصواريخ وأعلنه قبل التشاور مع الحكومة الكوبية ، لأن احتمالات المخاطرة أثبتت أنها أقوى من أى تضامن « عقائدى » فى الماركسية ـ اللينينية » هيكل : الاهرام ٣٠ / ٤ / ١٩٦٥ .

وعندما نشب القتال بين الصين والهند ، لم تكن روسيا إلى جانب الصين ١ .

بل عندما ذهب المسئول الصينى يعاتب الروس على تسليحهم للهند قائلا : إن الشعب الصينى سيشعر بمرارة شديدة ، وهو يعلم أن أبناءه يقتلون بأسلحة روسية ! كان الرد الروسى : إن الشعب الهندى جدير بأن تكون مرارته أشد . . لأن السلاح الروسى أكثر فى الجانب الصينى !

وعلقت الصحف الصينية على هذه المحاورة بقولها : « خبرونا من أنتم ؟ أتجار أسلحة ؟ ! »

« فى ٨ أكتوبر ١٩٦٢ أبلغ أحد القادة الصينيين السفير السوفيتى بأن الصين قد بلغها أن الهند كانت تستعد لشن هجوم شامل على الحدود الصينية — الهندية ، وأنه إذا بدأت الهند هذا الهجوم ، سوف ندافع عن أنفسنا بحزم . كما أبلغه أيضاً بأن حقيقة أن طائرات الهليكوبتر السوفياتية وطائرات النقل السوفياتية كانت تستخدم من قبل الهند بغرض إلقاء الامدادات الحربية من الجو ونقلها فى مناطق الحدود الصينية ، قد تركت انطباعاً سيئاً لدى جنودنا فى الحدود ، ونرى أنه من واجبنا الأممى (كذا) أن نخبر الجانب السوفيتى بهذا الوضع » ٢ .

---

(١) « لقد تحالف القادة السوفيت منذ زمن بعيد مع الرجعيين الهنود لمعارضة الصين الاشتراكية » .

(٢) ص ٧ من كتاب « حقيقة تحالف قادة الحزب الشيوعى السوفياتى مع الهند ضد الصين » طبع فى بكين .

ولم يقتصر الأمر على قتل الصينين الشيوعيين بالسلاح الروسى ، الذى يحمله الهنود ، بل قتل بنفس السلاح الروسى الذى يحمله الصينيون ، الهنود الشيوعيون ، من أنصار « دانجى » سكرتير الحزب الشيوعى الهندى الذى دعا إلى القتال ضد الغزو الصينى للتراب الهندى !

« وأيد خرشوف الرجعية الهندية فى هجماتها المسلحة على الصين الاشتراكية ، مشاركا الولايات المتحدة فى تقديم المساعدات العسكرية إلى الرجعية الهندية ليشجعها ويعينها على القيام بالاستفزازات العسكرية ضد الصين ١ .

ترى هل نذهب بعيدا إذا قلنا إن روسيا تحارب الصين فى الهند على نحو شبيه بمحاربة ألمانيا لروسيا فى أسبانيا قبيل الحرب الصريحة بينهما ؟!

على أية حال .. هذه مجرد خاطرة .. وتعالوا نقلب بعض المطبوعات الشيوعية لنسمع كيف تتخاطب دول « المعسكر » الاشتراكى .. وكيف يجرى « الحوار » الخلاق بينهم !

أحصت الصين (والشيوعيون عادة يولعون بالاحصائيات) أنه فى خلال المدة من ١٥ يوليو إلى ٣١ أكتوبر نشر فى الاتحاد السوفيتى فى « ٢٦ صحيفة ومجلة مركزية ١١١٩ مقالا كتبته هيئات التحرير ، وافتتاحية ، وتعليقا ، ومقالا موقعا ، ورسالة من القراء ، ورسما كاريكاتوريا ، هوجم فيها الحزب الشيوعى الصينى ، وقادته ماوتسى تونغ ،

---

(١) افتتاحية مجلة « العلم الأحمر » الصينية عدد مزدوج ٢١ / ٢٢ سنة ١٩٦٤ .

وليوشاوتشى ، وشوان لاى ورفاق آخرون بالاسم . وتدل الأرقام غير النهائية (!!) على أساس دراسة الخمس عشرة صحيفة ناطقة باسم اتحاد الجمهوريات ؛ على ان مالا يقل عن ٧٢٨ مقالا مشابها لهذا معاديا للصين قد ظهر فى الصحافة السوفيتية المحلية فى نفس تلك الفترة » ١ .

وروسيا احصت بدورها أنه « فى الفترة التى تلت ٢٥ أكتوبر ١٩٦٣ ٢ فقط نشرت صحيفة « جينمين جيهباو » لسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى أكثر من ٢٠٠ مقال من هـذا النوع .. وعن طريق المنظمات الصينية والاذاعة بالراديو بلغات مختلفة انتشرت فى كل أنحاء العالم مقالات وحقة ، بل والأكثر من ذلك أنه حـدث أن أذيعت المقالات الـكثيرة المعادية للسوفيت عشرات المرات بلاانقطاع . وذلك شىء غريب كما يبدو ، إلا أن تعليم الشعب الصينى بروح العداء نحو الاتحاد السوفيتى ، وحزبه الشيوعى ، قد أصبح الآن أهم جانب من جوانب جهد اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ، وهناك الآن جهاز ضخم للدعاية يعد بشدة مادة تسىء إلى الحزب الشيوعى بالاتحاد السوفيتى أيضاً .. »

« تضع الدعاية الصينية نفسها باستمرار فى صف الدوائر المعادية للسوفيت والعناصر المعادية للشيوعية فى الدوائر الامبريالية الرجعية .. » .

---

(١) قادة الحزب الشيوعى السوفيتى أكبر الانقسامين فى عصرنا الحاضر . ص٦٢ . دار النشر باللغات الأجنبية . بكين

(٢) تقرير الاجتماع الشامل للحزب الشيوعى السوفيتى المنعقد يوم ١٥ فبراير ١٩٦٤ الناشر بالعربية وكالة نوفوستى للانباء ص ١١

وقد وصف هذا التقرير الكتاب الصينى المشار إليه .. (قادة الاتحاد السوفيتى . . . الخ) بأنه يحتوى على طعنات قذرة معادية للسوفيت ، واهانة لكل حزبنا ، وكل الشعب السوفيتى ١ .

« ما زال قادة الحزب الشيوعى السوفياتى يلجأون إلى الخداع والمماحكة محاولين بجميع السبل ترويج سقط متاعهم » .

« يشوه قادة الحزب الشيوعى السوفياتى مؤلفات ماركس ولنين علنا ، كما يشوهون التاريخ علنا أيضا ، لكى يستروا خيانتهم للماركسية اللينينية .. » ٢

« إن قادة الحزب الشيوعى السوفيتى يعزفون اليوم نغمة كاوتسكى القديمة ، وما طبيعة هذا إن لم يكن انحطاطا إلى مستوى فضيلة عميل سافل للبورجوازية ؟ ! » ٣ .

« إن قول قادة الحزب الشيوعى السوفياتى بأن الثورة الهنغارية كانت مثلا على الانتقال السلمى ، ما هو إلا كذب صريح لا يعرف الخجل » ٤ .

« أليس من الواضح أنكم تحاولون شل يقظة الشعوب ، وتطييب خاطر الجماهير الحانقة الغاضبة وتهدئتها بالوعود الجوفاء بمستقبل ناصع

---

(١) ص ١٢
(٢) الثورة البروليتارية وتحريفية خرشوف ص ٢٠
(٣) ص ٣١
(٤) ص ٢٥

البياض ، وتعارضون ثورتها . وهكذا تتصرفون كشركاء للاستعمار ، ورجعي مختلف البلدان ؟ »[1] .

(الصين تسأل روسيا !!)

« كشفوا أن قسماتهم الحقيقية (أى الروس) ولونهم الحقيقى بصفتهم خلانا للمستعمرين فى معارضتهم للثورة »[2] .

« وخرشوف انطلاقا من أنانيته القومية يخشى أن تخلق ثورات الطبقات والأمم المضطهدة ، له المتاعب وتورطه . ولهذا يحاول معارضة كل ثورة بجميع السبل ، وكما فعل فى الكونغو ، لا يتردد فى المساهمة مع الاستعمار الأمريكى فى القضاء على ثورة شعبية . ويعتقد أنه بتصرفه هذا يمكنه أن يتفادى الأخطار ويتآمر فى نفس الوقت مع الاستعمار الأمريكى على تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ »[3] .

ولا تنسى الصين يوغوسلافيا : « لقد باعت طغمة تيتو نفسها جسماً وروحاً للاستعمار الأمريكى ، وهى لم تعد الرأسمالية وحسب إلى يوغوسلافيا بل أصبحت أداة استعمارية لتحطيم المعسكر الاشتراكى والحركه الشيوعية العالمية ، وهى تلعب دور فصيلة خاصة للاستعمار الأمريكى لنسف الثورة العالمية »[4] .

---

(١) نفس المصدر ص ٣٧

(٢) ص ٣٨

(٣) الصين تتكلم والترجمة لدار النشر باللغات الاجنبية . بكين . والكتاب يباع فى الاكشاك لمن أراد ان يقفه . ولكن على قلوب اقفالها !

(٤) ص ٦٣

وترد روسيا ..

فيرى الاجتماع الشامل للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى أن قيادة الحزب الشيوعى الصينى تهدف إلى : « فرض آرائها ووسائلها الخطيرة على شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .. ومحالفة الشعوب حول الأسس العنصرية ، وافساد الوفاق بين حركه التحرر القومية ؛ وحركة الطبقة العاملة ، والتى لا يمكن إلا أن تحطم وتضعف حركة التحرر القومية .

ولهذا تشوه وتحرف تعاليم الماركسية ـ اللنينية ، وتستغل أسوأ تقاليد القومية البورجوازية الصغيرة وأكثر أنواع الديماجوجية السافلة والتوبيخ » ١ .

« لا يتردد القادة الصينيون فى استخدام أكاذيب وقحة بليت فى الدعاية الامبريالية » ٢ .

«إن هذه التزويرات والتشويهات الفجة » ٣ .

« وهنا وجد الزعماء الصينيون أنفسهم متحالفين مع أكثر دوائر الامبريالية عدوانية » ٤

« ولا تستطيع الوقاحة أو الاختلاقات القذرة أن تلوث شعار البروليتارية العالمية » ٥ .

---

(١) تقرير الاجتماع الشامل ص ١٥ (ويبدو أن المترجمين الروس والصينيين قد تعلموا العربية فى مدرسة واحدة لأن تعبير «سافل» هذا والذى يتكرر كثيرا فى حوارهم الايدلوجى . غير مستعمل فى كتاباتنا المعاصرة !)

(٢) ص ١٢٣ (٣) ص ٣٤

(٤) ص ٤١ (٥) ص ٤٩

« من أجل أغراضهم الخسيسة »١ .

« ألم يأن للزعماء الصينيين أن يتوقفوا عن تضليل حزبهم وشعبهم والرأى العام العالمى (روسيا تسأل) وأن يقولوا الحقيقة عن الأسباب الحقيقية لمشاكل الشعب الصينى ؟ » .

« إن التعاون الاقتصادى السوفيتى الصينى ، والعلاقات الثقافية ، والتبادل بين المنظمات العامة ، تتدهور من عام لآخر ، بينما تتزايد الافتراءات والادعاءات على الشعب السوفياتى »٢ .

« ستنفجر فى وجوههم الوصمة الدنيئة »٢ .

« ولقد ظل خرق الحدود السوفيتية مستمرا فى عامى ٦٢ / ٦٣ متخذا شكل الاستفزاز (من جانب الصين !) ولقد تقدمت الحكومة السوفياتية بمبادرة الدعوة لعقد مشاورات حتى يمكن تحديد خط الحدود بين الاتحاد السوفياتى وجمهورية الصين الشعبية عند نقاط معينة »٣ .

« واتخذ خرشوف الوسائل الدنيئة الخبيثة يحاول بذلك عبثا أن يقوض الصين الاشتراكية ، ولقد مزق غدرا بضع مئات من الاتفاقيات والعقود ، وسحب عنوة أكثر من ألف خبير سوفيتى كانو يعملون فى الصين ، وخلق النزاعات على الحدود بين الصين والاتحاد السوفيتى .. بل قام بنشاطات هدامة واسعة النطاق فى منطقة سينكيانغ »٤ .

---

(١) ص ٧٠ (٢) ص ٧١

(٣) ص ٧١

(٤) لماذا سقط خرشوف . ص ١٧ افتتاحية مجلة العلم الأحمر (الصينية)

ونشرت البرافدا فى ١٣ سبتمبر ١٩٦٤ مقالا اتهمت فيه الصين بأنها أصبحت المنتج الأول للأفيون فى العالم ، وأنها تنفق إيرادات هذا الأفيون فى « الدعاية المعادية للسوفيت ، أو لدفع ثمن خدمات عملاء الانقساميين الصينيين » !!

وقد ردّت عليها مجلة بكين ريفيو تحت عنوان : « ألا تعرف البرافدا معنى الخجل ؟ ! » جاء فيه : « هذا يوضح إلى أى مستوى هوت الصحيفة السوفيتية »(١) .

(١) بكين ريفيو العدد ٣٩ س ١٣/١٤ .. ٢٥/٩/١٩٦٤ .

قد يقال هـذه شنشنة نعرفها من أخزم .. وهـذه هى اللهجة الشيوعية المعتادة . . وهذا صحيح ! . . إلا أن استخدام هذه اللغة داخل الأحزاب الشيوعية كان دائما أبدا ينتهى إما بالانقسام ، إن كان الحزب فى المعارضة ؛ أو بشنق الطرف المنهزم ، إن كان الحزب فى الحكم . . أما الآن ، والصينيون لايستطيعون شنق الروس[1] ، ولا يستطيع الروس إعادة ماوتسى تونج وليوتشاوتشى إلى وظائفهم الأصلية . . فلا مفر من الاعتراف بانتهاء مايسمى بوحدة المعسكر الاشتراكى . .

وذلك مايحس به الشيوعيون أنفسهم ويتحدثون عنـه ولو فى لهجة التحذير .

الصين تقول : « لم يحدث أبدا من قبل أن أصبحت وحدة الحركة الشيوعية العالمية مهددة بهذه الصورة الخطيرة كما هى الآن . . إن الحركة الشيوعية العالمية مواجهة بخطر الانقسام بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل »[2] .

---

(١) وإن كان شنق أنصار كل منهما يجرى على قدم وساق ، شنقت البانيا عددا من كبار العسكريين لأنهم عملاء لروسيا ، وانتحر وسيشنق عدد من القادة البلغاريين لأنهم كانو يعدون انقلابا مواليا للصين .. وقد شنق فى شرق أوروبا عدد لا بأس به بتهمة العمل لحساب تيتو .. أو ستالين !

(٢) السطور الثلاثة الأولى من كتاب « قادة الحزب الشيوعى السوفياتى أكبر الانقساميين فى عهدنا الحاضر » نشر فى بكين

وروسيا ترى أنه : « لا يوجد هناك أدنى شك فى أن بكين تقود طريقا يهدف إلى انشقاق الأحزاب الشيوعية ، وتكوين مجموعة معادية تعمل ضد الماركسية ـ اللينينية » .

« إن الهدف الحقيقى لقيادة الحزب الشيوعى الصينى هو تفكيك الجبهة الشيوعية المتحدة ، ومعارضة الحركة الشيوعية بكتلة من مجموعات المؤيدين للأعمال الصينية ، وإخضاع الأحزاب الشيوعية لتأثيرها »[1] .

والصين أيضا ترى أن « قادة الحزب الشيوعى السوفياتى ، بجعلهم التعايش السلمى الخط العام للسياسة الخارجية ، قد صفوا علاقات الأممية البروليتارية فى المساعدة المتبادلة والتعاون بين الأقطار الاشتراكية ، ووضعوا الأقطار الاشتراكية الشقيقة على نفس الصعيد مع الأقطار الرأسمالية . وهذا يعنى تصفية المعسكر الاشتراكى »[2] .

« ان قادة الحزب الشيوعى السوفيتى يسعون جاهدين لتحطيم المعسكر الاشتراكى . ويستخدمون كل نوع من الأكاذيب والافتراءات ضد الحزب الشيوعى الصينى . ويقومون بالضغط السياسى والاقتصادى على الصين ، أما بالنسبة لألبانيا الاشتراكية فلن يرضيهم شىء أقل من القضاء عليها ؛ وقد قاموا بالضغط ، يدا بيد مع الاستعمار الأمريكى ، على كوبا الثورية (لاحظ ألبانيا « الاشتراكية » وكوبا « الثورية ») طالبين منها ، التضحية بسيادتها وكرامتها »[3] .

---

(١) ص ١٣ ـ ١٤ من قرار الاجتماع الشامل .

(٢) ص ٣٢ من « سياستان للتعايش السلمى » طبعة بكين بالعربية .

(٣) ص ٥٢

وتنقل الصين عن الصحافة الأمريكية : « حطم خرشوف بصورة قاطعة الكتلة الموحدة التى كانت فى أيام ستالين . . وقد تكون هذه أعظم خدمة أداها خرشوف » ١ .

وترى الصين أن «قادة الحزب الشيوعى السوفيتى مصرون على السعى إلى التعاون السوفيتى — الأمريكى للسيطرة على العالم ، وهم يعتبرون الاستعمار الأمريكى — ألد أعداء شعوب العالم — أعظم صديق يعتمدون عليه ، بينما يعاملون الأحزاب والأقطار الشقيقة التى تلتزم بالماركسية — اللنينية معاملة الاعداء » ٢ .

« إن موقف القادة السوفيت إزاء مسألة الحدود الصينية الهندية ، هو خيانة للأممية البروليتارية ، وهكذا خانوا المعسكر الاشتراكى والشعب الهندى أيضاً » ٣ .

ولما أعفى خرشوف من منصبه ، لم تبخل عليه الصين بكلمة تأبين مناسبة !

تحت عنوان : « لماذا سقط خرشوف » قالت افتتاحية مجلة « العلم الأحمر » : « كان يستسلم أمام الاستعمار ، يلغى ويعارض النضالات الثورية لشعوب العالم ، ويمارس الانقسامية فى الحركة الشيوعية العالمية ، مستبدلا بالأممية البروليتارية ، شوفينية الدولة الكبرى » ٤

---

(١) قادة الحزب الشيوعى .. الخ ص ٢٧
(٢) قادة الحزب .. ص ٢٣
(٣) حقيقة تحالف قادة الحزب الشيوعى السوفيتى مع الهند ضد الصين ص ٢٧
(٤) ص ٢

« واستجابة لحاجات الاستعمار الامريكى فى بسط سياسة الابتزاز النووى ومنعا للصين الاشتراكية من بناء قوتها النووية للدفاع عن النفس » . . « خان يخنسون وبلا ضمير مصالح الشعب السوفيتى ومصالح شعوب البلدان الاشتراكية ومصالح الشعوب المحبة للسلام فى كل العالم » .

وحتى لاتترك الصين مجالا لتفسير اتهاماتها هذه بانحراف شخصى لخرشوف ، تعلن فى نهاية الكتاب أن كل الدلائل تشير إلى الرغبة فى ممارسة الخرشوفية بدون خرشوف ! . .

وترد روسيا :

« أبدى القادة الصينيون فى السنوات الحالية أنهم لايهتمون بتقوية وحدة النظام الاشتراكى العالمى ، ولم ترفض جمهورية الصين الشعبية تنسيق أعمالها مع الدول الاشتراكية الأخرى فحسب ، بل إنها بصراحة تعارض أيضا الاتجاه المتفق عليه بين الدول الاشتراكية فى الصعيد الدولى .. وخرجت الصين علانية لتهز دعائم المجتمع الاشتراكى ، وتقطع العلاقات الاقتصادية مع الدول الاشتراكية وخاصة مع دول الكوميسون ، والاتحاد السوفيتى علاوة على ذلك »[1]

« ابتداء من عام ١٩٦٠ غير قادة حزب العمل الألبانى فجأة اتجاههم السياسى . رغم اننا لم نعطهم أى سبب لعمل هذا . وقاموا باعمال معادية للحزب الشيوعى بالاتحاد السوفيتى وغيره من الاحزاب الشقيقة . وقد

---

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ٢٢

قطعت حكومة جمهورية ألبانيا الشعبية التعاون السياسى والاقتصادى والعسكرى مع الاتحادالسوفيتى ، وكثير من الدول الاشتراكية الأخرى . وكان من الصعب فى البداية أن نرى ماذا شجع تحركات هوكسها وشيهو (صحة أسمائهم الاسلامية . . خوجه وشيحو أو شيخو) ولكن بمرور الوقت أصبح من الواضح جدا أن الزعماء الألبانيين قد اخذوا تعليماتهم من شخص آخر . . لانهم ذكروا كل كلمة قيلت أو كتبت فى بكين » ١ .

واتهمت روسيا الصين بانها انتهزت فرصة أزمة كوبا والصواريخ لخدمة أهدافها على الحدود الهندية ٢ .

وتسخر كوريا الشمالية من زعامة روسيا فتقول صحيفة « رودنج شينمون » لسان حال اللجنة المركزية لحزب العمال الكورى بتاريخ ٧ سبتمبر ١٩٦٤ وترجمت لها ونشرت « بكين ريفيو » الصينية : « أن كلمات البرافدا لايستخدمها الاشوفينيو الدول الكبرى ، الذين اعتادوا اعتبار أنفسهم مخولين حق تقرير كل شىء ، والأمر بكل شىء ، وأن الآخرين جهلة ، وهم وحدهم الذين يعرفون » . . « هذه طريقة (أى البرافدا) الرجل الذى يعترف بنفسه فقط وأنه كل شىء فى العالم ، كلماته فى حد ذاتها قانون ونظرية! » ٣

وتعلق على انتقادات البرافدا للندوة الاقتصادية الآسيوية التى انعقدت فى بيونج يانج فى يونيه من العام الماضى . . فتقول : « لماذا هذا

---

(١) قرار الاجتماع الشامل ص١٦

(٢) ص ٣٨

(٣) بكين ريفيو عدد ٣٨ ـ ١٨/٩/١٩٦٥ ص ٢٣

التشهير العدوانى بنجاح ندوة بيونج يانج . . ؟! ثم تفسر هذا العداء بأنه « والحق يقال .. هذه الندوة تعكس اندفاع شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ضد الاستعمار وتطلعهم إلى الاعتماد على أنفسهم ، وبناء اقتصاد وطنى مستقل »١ .

لهذا تعادى روسيا الندوة . . . فى اعتقاد كوريا الشمالية ؟ ! . . أما زال البعض يتحدث عن « معسكر » اشتراكى ؟!

وتنقل الصحيفة الكورية٢ تعليق صوت أمريكا على الندوة ، ثم تعليق البرافدا وتصيح فى شماتة : « أى تشابه ملحوظ بين صوت البرافدا وصوت أمريكا » .

ويجب أن نقف عند رفض الاتحاد السوفيتى إعطاء الصين ، الشقيقة الكبرى ، القنبلة الذرية ، ولو أن البعض يحاول أن يسلك هذا الموقف فى أسباب الخلاف بين الصين وروسيا . . إلا أننا نرى أن هذا الموقف هو نتيجة حتمية لاختفاء وحدة المعسكر الشيوعى ، السابق على الرفض السوفيتى .. وأيضا هو موقف طبيعى جدا تحتمه السياسة القومية لروسيا .. وحرصا على سلامتها من جاراتها الخطرة ..

وقد رفضت الصين نظرية الدفاع المشترك التى دعت إليها روسيا ، وأصرت على أن تملك قنبلتها الذرية .. «ولو كلفها ذلك جهد مائة عام» ..

قالت روسيا : « السلاح الذرى للاتحاد السوفيتى ضمان يمكن الاعتماد

---

(١) ص ٢٣

(٢) لسان حال الحزب الحاكم فى كوريا الشمالية الشيوعية

عليه للدفاع لا عن بلدنا فحسب ، بل عن كل المعسكر الاشتراكى بما فيه الصين ، وقادة جمهورية الصين الشعبية متنبهون لهذا جيدا . وبالرغم من ذلك . . قالوا أن الصين ستخلق سلاحها الثورى الخاص بها مهما كان الثمن » ١ .

ومنطق روسيا ، هو نفس المنطق الذى كانت تعلل به أمريكا حلفاءها الصغار .. والذى رفضته بريطانيا وفرنسا . . وقد تكون وجهة النظر هذه منطقية جدا .. اذا ماسقطنا مرة أخرى فى التفسيرات الصبيانية عن الاخوة الشيوعية ، والأممية البروليتارية ، والتى تعرف الصين جيدا مدى جديتها .. ومن الممكن حقا أن تحمى القنبلة الروسية الدول الشيوعية بما فيها الصين ضد عدوان الدول الرأسمالية . .

ربما . .

ولكن من يحمى الصين من خطر الأشقاء ؟! . .

مرة أخرى لا أريد أن أفرض نفسى على الحديث . . إنما أترك كلماتهم هم ترسم صورة الموقف .. حتى لايعود أحد يتحدث عن « معسكر » .

أعلن ليوتشاوتشى رئيس جمهورية الصين الشعبية فى خطابه بجونجيانج فى ١٨ سبتمبر ١٩٦٣ « إن الاتحاد السوفيتى فى اتفاقه مع الإمبرياليين ، قد احتكر السلاح النووى ، ويقيم تهديداً نووياً فيما يتعلق بشعوب الدول الاشتراكية ، والشعوب الثورية فى كل أنحاء العالم » ٢ .

---

(١) قرار الاجتماع ص ٤٢

(٢) من قرار الاجتماع ... الخ ص ٤٣

ويعلن الحزب الشيوعى اليابانى مخاطباً الاتحاد السوفيتى : « إن سياستكم تهدف إلى منع الدول الاشتراكية الأخرى من تقوية دفاعها ، وتخدم أطماع الولايات المتحدة فى احتكار السلاح الذرى إلى الأبد ، وتسهل بلطجتها الذرية » ١ .

وللتفكه - ليس إلا - نختم هذا الحديث باقتراح تقدم به حزب « شغيلة » فيتنام فى يناير ١٩٦٢ .

« وجوب إيقاف الهجوم المتبادل فى الاذاعة والصحف بين الأحزاب الشيوعية» ٢ .

ألا يذكرنا ذلك باجتماعات الجامعة العربية !

---

(١) رد اللجنة المركزية للحزب الشيوعى اليابانى فى صحيفة أكاهاتا .. بتاريخ ٢ سبتمبر ، وأعادت نشره بكين ريفيو عدد ٣٨

(٢) ص ٦١ من قادة الحزب الشيوعى ... الخ

إذن فلم يعد هناك مايسمى بالمعسكر الاشتراكى . . ولا مجال إذن للحديث عن رد فعل موحد من جانب الدول الشيوعية ، إزاء موقف البلد المعين من الشيوعيين المحليين فيها ..

لأن الشيوعية المحلية بعد انتهاء النظام البابوى . وانشقاق الكنيسة وتفرق مجمع الكرادلة ، أصبحت إما تتبع هذه المجموعة أو تلك فى الصراع الرهيب الدائر بين روسيا والصين ، حول زعم الأحزاب الشيوعية ، والدول الشيوعية ..

وبالتالى فإن الموقف المعين من الشيوعية المحلية قد يغضب هذه المجموعة بقدر ما يسعد المجموعة المضادة . . بل قد يلقى تأييداً من فريق شيوعى ضد فريق آخر فى نفس البلد . . كما تؤيد قيادة الحزب الشيوعى الهندى اعتقال الشيوعيين المؤيدين للصين ! . .

وكذلك فإن انفراط عقد المعسكر الشيوعى ، قد جعل دوله أكثر صراحة فى الذود عن مصالحها والاهتمام بهذه المصالح ، دون مراعاة لواجبات الأخوة الرفاقية .

وإن تكن هذه السياسة متبعة من البداية ، إلا أنها اليوم أكثر صراحة ووضوحاً . . ليس فقط فى تعاملها مع الدول غير الشيوعية بل حتى فى تعاملها مع بعضها البعض .

ويبدو أن الاتجاه السوفيتى فى هذه المرحلة هو الاعتماد على الصلات

الدولية ، والمنافسة الاقتصادية للغرب . . وأن ثقة القيادة السوفيتية بقدرتها على مقاومة النفوذ الصينى فى الأحزاب الشيوعية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية موضع شك عند الروس أنفسهم . . ولذا تؤيد القيادة السوفيتية . . التخلص نهائياً من صداع الأحزاب الشيوعية فى هذه البلدان . . وقهر الرأسمالية بالتنافس السلمى والتفوق فى العلاقات الاقتصادية . .

وبقدر ما نرفض نحن الماركسية ، نعتز بكل مساعدة تقدمها لنا دولة شيوعية .. نعتز بالمساعدة المادية الفعالة التى يقدمها لنا الاتحاد السوفيتى فى بناء السد العالى وتنفيذ مشاريعنا الصناعية . . والتأييد الأدبى الكبير الذى تقدمه الصين لقضية فلسطين ..

ولا شك أن إمكانيات غير الماركسيين أوسع فى مجال الصداقة والتعاون مع الدول الشيوعية . . وذلك لأن انطلاقنا من وجهة النظر القومية وحدها . . لا يجعلنا طرفاً فى النزاع بينهم . . . بل يجعلهم يتسابقون على خطب ودنا [1] . . . بينما يتحتم على الشيوعى أن ينحاز إلى أحد الجانبين ... فإن انحاز كان عليه أن يحمل تبعات الولاء لقائد هذا الجانب وعداوة الجانب الآخر ..

أما نحن ـ فكما قلنا ـ لا يعنينا من هذا الصراع الا اتصاله

---

(١) كما يجرى الآن فعلا التسابق بين الصين وروسيا على كسب تأييدنا لوجهة نظرهم فى المؤتمرات الاسيوية والافريقية

بمصالحنا القومية . . ولا نقف طويلا عند الحديث عن دكتاتورية البروليتاريا والطرق المتعددة للاشتراكية . . لأننا لا نبحث عن اعتراف باشتراكيتنا إلا من الشعب العربى . . ولا نعتذر عن طريقنا الخاص فى الاشتراكية بتلمس « غرائب الحديث » فإن ذلك يوقع فى الكذب كما جاء فى الأثر .

يزعم الشيوعيون أن مهاجمة الشيوعية أو الماركسية إنما تهدف إلى النيل من الاشتراكية . . وأنها ستار تختفى الرجعية خلفه للطعن فى الإجراءات الاشتراكية !

وهو قول يبلغ من السخف حداً يغرى بتجاهله ، لولا أن من تقاليد حضارتنا العربية . . هذه « الفنقلة » . . أى فإن قال كذا . . قلنا كذا . . والولع بتقصى الفروض ـ مهما بلغ من استحالتها وسخافتها ـ وتفنيدها والرد عليها . .

ولا نريد أن نقف طويلا عند المحاولات المبكية والمضحكة التى يبذلها الشيوعيون ، فى التفتيش عن نص نظرى عقب كل تصرف مدهش تفاجئهم به السلطات الاشتراكية !

وأحسب أن أول السخف فى ادعاءات الشيوعيين ، هو ادعاء قرابة مزعومة بين الشيوعيين والاشتراكية ! . . والحق يقال ان اكبر قوة معادية للاشتراكية فى المجتمع العربى كانت التنظيمات الشيوعية . .

ليس للشيوعيين فضل فى الاشتراكية ولا سبق اجتهاد . . بل هم الذين كانوا يعارضون قيامها ، ويفلسفون استمرار السيطرة الرأسمالية ،

بحجة أن ساعة زوالها لم تحن بعد . . فقاموا بدور محامى الرأسمالية الذى يبذل كل براعته لتأجيل التنفيذ والإشكال فى الحكم !

والماركسية كما انتقلت للشيوعيين العرب . . كانت تقول بأن الاشتراكية هى قضية الطبقة العاملة ، وحتى عندما توسعوا فى التفسير وقالوا ان الاشتراكية هى قضية كل الشعب . .كان مفهوما ان هذه القضية لا تحل الا تحت قيادة الطبقة العاملة ممثلة فى حزبها الشيوعى . . ومن ثم فلا طريق للاشتراكية الا الطريق الماركسى ، والحزب الشيوعى هو وحده الذى يملك كلمة السر لعبور الطريق المسدود على غير الماركسيين .

ولما كانت البلدان العربية ، تمتاز بوجود الاستعمار والاقطاع وأيضاً بضعف الحركة الشيوعية . . كما تفضلت عليها النظرية الماركسية فجعلتها « احتياطى » (! !) للثورة العالمية التى تدور فى بلاد « الكبار» ويقودها عمالهم « الشطار » . . وليس علينا نحن إلا أن نكون الوقود الثورى لكفاحهم !

ومن ثم فواجباتنا التاريخية هى إتمام الثورة الوطنية بالتحرر من الاستعمار وتصفية الإقطاع ، ثم تشجيع رأس المال العربى الكبير ، حتى يتم نضج الظروف الموضوعية والذاتية لإعلان الثورة الاشتراكية !

وبالتالى فإن أى دعوة للاشتراكية من خارج الحزب الشيوعى ، هى دعوة مزيفة تستهدف التضليل والتشويه وتزييف الشعارات لحماية المصالح الحقيقية للرأسمالية . . لذلك لم تنطل على الشيوعيين العرب ، الأذكياء بنور الماركسية ، خدعة « الاشتراكية الناصرية » . وعقب كل

حركة تأميم ، كان لابد من تفسير يثبت ان كل هذا الذى يجرى ، ليس اشتراكية ، ولكنه مكر ماكرين لزيادة أرباح الرأسمالية . وحمايتها من الخطر الشيوعى !

وقد أتيحت للشيوعيين العرب فرصة العمل العلنى فى الوطن العربى خلال الفترة من صيف عام ١٩٥٦ الى انحيازهم لعبد الكريم قاسم فى أواخر عام ١٩٥٨ . . ثم استمروا فى العراق الى مطلع عام ١٩٦٢ . . وقد وصلت بهم الأحلام فى العراق الى حد رفع شعار : « اشتراك الحزب الشيوعى فى الحكم مطلب عظيمى » .

وفى ظل إعلان الاشتراكية ، ومناداة معظم الاحزاب الثورية العربية بها . . كانت الفرصة مواتية جدا لمن يريد حقا إقامة الاشتراكية . . أن ينادى بها ، أو أن يعلنها فى برنامجه ، موضحا الطريق السليم إليها إن كان يرى الزيف فى طريق الآخرين . .

ولكن . . العكس هو ما حدث . . لقد بذل الشيوعيون العرب جهدا فائقا فى اثبات أن الاشتراكية هى الهدف البعيد ؟ وانها ليست مطلباً « عظيميا ولا ضئيلياً » . . ودافعوا بحرارة عن حق الرأسمالية فى البقاء . .

قال الشيوعيون [1] :

---

(١) من كتاب القومية والديمقراطية : محاضرة ألقيت فى قاعة الشعب بدعوة من جمعية الخريجين . . ويتضمن أيضاً مفاهيم خاطئة حول القومية والأممية بقلم ابن خلدون . « وملاحظات حول الاممية والقومية أيضاً » للاستاذ محمود أمين العالم مطبعة النجوم ـ بغداد ـ تليفون ٨٨٦٥٩ (فى العهد القاسمى)

« فبالنسبة للمرحلة الراهنة من كفاح العرب الثورى نرى أن المطامح الديموقراطية لهذا الكفاح تتحدد فى :

أ — اقتصاديا واجتماعيا:

١ — تصفية الإقطاع ، وتحقيق اصلاحات زراعية جذرية لمصلحة جمهرة الفلاحين وخاصة الفقراء منهم ، وهو المحور الاجتماعى للثورة .

٢ — تصنيع البلاد وتشجيع الرأسمال الوطنى الحكومى والفردى فى الصناعة والتجارة .

٣ — تحقيق المطالب اليومية للعمال .

٤ — تطمين مطالب الحرفيين والكسبة وصغار التجار والمثقفين .

٥ — نشر الثقافة والتعليم .

٦ — مساواة الرجل والمرأة .

٧ — ازالة القوانين الرجعية .

هذه هى اهم جوانب المحتوى الديمقراطى اقتصاديا واجتماعيا. أما مسألة تحقيق الاشتراكية فغير واردة اطلاقا (هذا ليس تعليقى بل نص الكتاب بالحرف الواحد) .. ان الاشتراكية تعنى تصفية الرأسمال الوطنى الفردى وتأميم المشاريع الفردية تدريجيا وتحويل الزراعة والحرف تحويلا اشتراكيا ..

وهذا لاينطبق وحاجيات المجتمعات العربية اليوم (!!) أما الدعوات التى تنادى بالاشتراكية كهدف آنى ، فليست علمية وهى خطرة من ناحيتين ..

أولا : لانها تحرف المعنى الحقيقى للاشتراكية وتموه الجماهير (كذا) .

وثانيا : لأنها قد تدفع الرأسماليين الوطنيين بعيدا عن معسكر الحركة فى حين ان لهم دورا هاما سواء فى الثورة او فى بناء بلد عربى متحرر .. والبلاد العربية المتحررة بحاجة الى دور الرأسمال الوطنى الفردى الى أمد طويل » (! ! التعجب من عندنا) .

أمن مثل هذا التفكير كان يمكن ان ينطلق اى كفاح اشتراكى .. أليست هذه « العلمية » هى التى قادتهم الى معاداة الثورات الاشتراكية ومحالفة الرجعية ؟ !

نعود الى الكتاب الشيوعى :

« ومن الواضح ان حملة هذه الشعارات المبهمة المشوشة لايدعون الى تأميم المشاريع الفردية كهدف نهائى . ومع ذلك يسمون مرحلتنا المعادية للاستعمار والإقطاع والرأسمال الخائن بمرحلة التحرر والاشتراكية . والاشتراكية كما قال مناضل عربى كبير (خالد بكداش) لايمكن تحقيقها بمجرد قرار من الحكم القائم ، ولا بمجرد رغبات حزب من الاحزاب أو هيئة من الهيئات .. فلتحقيق الاشتراكية ينبغى أن تكون القوى المنتجة فى البلاد على مستوى معين ، أى أنه ينبغى أن يكون الإنتاج قد بلغ درجة معينة من تطوره »١ .

---

(١) لذلك أبرق بكداش من منفاه يهنىء النحلاوى بإلغاء الاشتراكية ، وسارع يستقل الطائره عائدا الى دمشق مطمئنا على نفسه وكفاحه ، مادامت الاشتراكية قد ألغيت !

ويقول كتاب الشيوعيين « إن الاشتراكية فى الحقيقة ، هدف بعيد .. ولا يمكن وضع أهداف اشتراكية أمامنا قبل إتمام المهام الأساسية لمرحلة الكفاح الوطنى الديموقراطى ..

ومن الغريب أن يدعى للاشتراكية فى بلاد عربية متحررة لم تستطع حتى الآن تحقيق إصلاح زراعى جذرى ، وحيث ازدهرت مرتبة أغنياء الفلاحين المستغلة ، وحيث أخذ عدد متزايد من الفلاحين يبيعون أراضيهم بسبب الحاجة إلى المساعدة المادية لهم ! هذا فضلا عن أن الانتقال للاشتراكية يتطلب مستوى معينا من التنظيم الجماهيرى ، ونوعا خاصا من الوعى الجماهيرى غير متوفرين الآن » [1] .

وفى افتتاحية (اتحاد الشعب) صحيفة الحزب الشيوعى العراقى الصادرة فى ١٥ كانون ١٩٦٠ [2] :

« ولكن كثيرا من الاحزاب ، تلجأ فى الغالب إلى الإعلان عن أهداف أوسع مما تحتملها طبيعة المصالح التى تمثلها ، وغالبا ما تصاغ مثل هذه الأهداف بشكل يتوخى مجاراة الطموح الواسع لجماهير الشعب ، دون أن يكون هناك أساس واقعى لهذه الأهداف .

وقد استند (حزبنا) فى تحديد هذه المهام على طبيعة الثورة ، وظروف بلادنا وخصائص مجتمعنا ، مسترشدا فى ذلك بمبادىء الاشتراكية العلمية » ..

---

(١) ص٢٠ ـ ٢٢

(٢) هذه قصاصات احتفظ بها من أيام الفتنة القاسمية وقد فاتنى أن اكتب عليها عند القص كانون أول أو ثان .

« وإن هذه المبادىء التى نهتدى بها أبدا فى نضالنا هى التى أرشدتنا فى تعيين أهدافنا ، كما جاءت فى الميثاق الوطنى لحزبنا ، وهى التى جعلتنا ـ رغم كوننا أنصار الاشتراكية ـ لا نضمن ميثاقنا الوطنى الذى نناضل من أجل تحقيقه ، أهدافا « اشتراكية » ، خلافا لاولئك الذين يضطرون ـ بدافع تعاظم شعبية الافكار التقدمية والشعارات الاشتراكية ـ إلى تبنى أو التظاهر بالعمل من أجل الاشتراكية .. حتى ولو كانوا أبعد الناس عنها ؛ كما يحاول عبد الناصر أن يصف حركته « بالاشتراكية التعاونية » (!!)

« إن الماركسية اللينينية التى نسترشد بها فى نضالنا هى خير عاصم لنا من الانسياق وراء شعارات وأهداف بعيدة عن الظروف الواقعية لحياة مجتمعنا المادية .. لقد حاول أعداء جمهوريتنا أن يوحوا بأننا نحن الشيوعيين أصبحنا نعتبر مرحلة التحرر الوطنى والديمقراطية قد انتهت ، وأننا تبعا لذلك نسعى فى الحال لتحقيق الاشتراكية (حاشا لله) ..

ولا يخفى أن تلك الدسائس .. إلخ (لعن الله الدس والدساسين وبرأكم من الاشتراكية)

« إن المهمات التحررية الديمقراطية التى يناضل حزبنا من أجلها ليست موجهة ضد العلاقات الإنتاجية البورجوازية ـ الرأسمالية ـ »

ويقول خالد بكداش : « كل كلام حول القفز فوق هذه المرحلة التاريخيه .. مرحلة التحرر الوطنى الديمقراطى ، والدخول رأسا فى مرحلة الاشتراكية ، هو كلام يؤدى عن قصد أو غير قصد إلى تضليل الشعب ».

وإلى محاولة تشويه المفهوم الصحيح للاشتراكية »[1]

وكون المرء شيوعيا .. لا يبيح له أن يكون كاذبا أيضا .. ولا يعنى أن نلغى نحن عقولنا فنصدق أن الشيوعيين قد دعوا للاشتراكية ، فضلا عن الادعاء الفارغ بأنهم أول من دعا لها !

الشيوعيون لم يدعو إلى الاشتراكية فى الوطن العربى ، لا قبل عبد الناصر ولا فى ظله ، بل عارضوا كل دعوة لها ، باعتبار أن مثل هذه الدعوة السابقة لأوانها تضليل ، لأن الاشتراكية لها ميقات معلوم ، بعد إتمام الثورة البورجوازية الديموقراطية ، ولها رجال مسومون .. هم الحزب الشيوعى ..

لقد حاربوا الاشتراكية ، ونشروا اليأس بين الجماهير .. وحاربوا تطلعها إلى الاشتراكية .. ونالوا الجزاء .. وأصدروا بأيديهم حكم إعدامهم سياسيا .. ورأينا على أرضنا العربية لأول مرة فى التاريخ أحزاباً شيوعية تعلن تصفية نفسها .. جزاء وفاقا .. عندما قام النظام الاشتراكى بعيدا عنها ، بل وبرغم جهودها ..

اللهم لاشماتة ..

وهكذا يسقط ادعاء احتكار الشيوعيين للاشتراكية أو سبق الدعوة لها ، كما يسقط حق المطالبة به ، بتصفية التركة وتفرق الورثة .. فماذا عن الاشتراكية ذاتها ؟ ..

الاشتراكية بمعنى رفض الاستغلال .. رفض استئثار الأقلية بثروات

---

(١) جريدة الصرخة أغسطس ١٩٥٤ (حقيقة الشيوعيين)

المجتمع حتى لا تكون دُولة بينهم . .

الاشتراكية بمعنى أن تكون الثروة من حق المجموع كله ، له الولاية عليها وله خيراتها .. بروح التعاطف والتآخى .. الاشتراكية بهذا المفهوم، هى ظاهرة طبيعية جدا ، ومتواضعة جدا فى حضارتنا الإسلامية .. أما محاولة إدخال كل حضارتنا فى الاشتراكية فنوع من خداع البصر ، كمن يضع القرش أمام عينه فلا يرى الشمس ، ويزعم أن القرش أكبر من الشمس !

لم يكن ماركس يحمل رسالة .. ولا يدعو لحضارة جديدة .. بل هو ابن بار للحضارة الغربية .. صنع نظريته من الفلسفة الألمانية ، والاشتراكية الفرنسية ، والاقتصاد السياسى الانجليزى[1] .. أى عصارة الحضارة الغربية فى قمة نموها[2] .

وماركس يؤمن بالحضارة الغربية بكل قيمها وتاريخها ، ويعتز بهذا التاريخ ، ويعتبره تقدما للبشرية فى طريقها نحو النصر الأكبر .. ويسمى جرائم هذه الحضارة ، حتمية تاريخية ، ولا يرجعها إلى فلسفتها بقدر ما يرجعها إلى الضرورات الاقتصادية ..

---

(١) لنين .. تعاليم كارل ماركس (كتبه لدائرة المعارف البريطانية)

(٢) فالشيوعية اذن ، سلاح ، وهو سلاح من أصل غربى مثل القنابل والطائرات والمدافع ، فلو لم يخترعه غربيان عاشا فى القرن التاسع عشر هما كارل ماركس وفردريك إنجلز ، اللذان تربيا فى إقليم نهر الراين ، وقضيا أحسن جزء من حياتهما العاملة فى مدينة لندن ، ثم بعد ذلك فى مانشستر — لما اصبحت الشيوعية مذهب روسيا السياسى ؟ ذلك أنه لم يكن فى التقاليد الروسية .. ما كان يمكن أن يؤدى بالروس إلى اختراع الشيوعية بأنفسهم . ومن المؤكد أنهم ما كانوا قط يحلمون بهذا السلاح لو لم يكن موجودا فى الغرب (توينبى)

وكل مايتقدم به ماركس هو حل لإنقاذ هذه الحضارة وإخراجها من ورطتها ، أى التناقض بين العمل الجماعى والملكية الفردية .. التناقض الذى أوقعت فيه نفسها فجاء مخلصها ماركس ، يحل لها هذا التناقض بالدعوة إلى الملكية العامة لوسائل الإنتاج ..

كل ما كان يعنى ماركس ، هو إطلاق سراح قوى التقدم لهذه الحضارة كى تنطلق من جديد . .

أما نحن فنعادى الحضارة الغربية ، وندعو لحضارتنا نحن .. وبالتالى فليست كل القضية عندنا هى حل هذا التناقض بين العمل الجماعى والملكية الفردية[1] .. وليست اشتراكيتنا هى الماركسية . .

إسلامنا أكبر من الماركسية ، ومن الحضارة الغربية التى أنجبت ماركس . .

اشتراكيتنا هى الوضع الطبيعى فى الحضارة الإسلامية ، وقضية تنبع من أخلاقنا العربية وتعاليمنا الإسلامية ..

والماركسية قد بهرت الحضارة الغربية ، واعتبرت ثورة فى الفكر الغربى لأن هذه الحضارة ترفض فكرة المساواة .. منذ أن وضع أفلاطون فى جبلة الخلق الأولى معادن يتمايز بها الناس وفقا لأسعارها ! فمن وضع فى طينته ذهب ، ساد من كان حظه فضة .. والثالث يسود من وضعت الآلهة فى عجينته النحاس ! . .

وجاءت الكنيسة ، تتدرج فيها المناصب فى نظام طبقى أعنف من

---

(١) بل اننا لم نصل أبدا لهذا التناقض . . والاشتراكية قد قامت فى أبعد البلاد عنه . .

طبقات الهندوس .. إلى خرافة الدم الأزرق .. إلى ماركس نفسه ..

هل آمن ماركس ، أو دعا للاشتراكية ، إيمانا بمساواة البشر .. أو « ليس منا من بات شبعان .. وجاره جائع »[1] .

أبدا .. آمن بالاشتراكية باعتبارها قضاء لامرد له ..

والاشتراكية فى الحضارة الإسلامية سلوك طبيعى .. الماركسية مازالت تجادل منذ أكثر من قرن ، فى فكرة تملك المجتمع لمصادر الثروة .. بينما هذه القضية بديهية فى المجتمع الإسلامى .. حتى أن الدول البترولية العربية لم تثر فيها مشكلة على الإطلاق حول شكل ملكية الحصة العربية فى البترول .. بل كانت منذ اليوم الأول للدولة .. مهما تكن الاعتراضات على شكل دولة من الدول .. أو على طريقة استخدام هذه الحصة ..

إن إقناعنا بالملكية الفردية كان المهمة الأصعب منذ القرن التاسع عشر ، بينما كان تملك المجتمع هو السلوك الطبيعى المقبول عندنا ..

ولقد وضعت الدواوين فى صدر الإسلام فى عهد عمر لالتقدير الضرائب والإتاوات على المواطنين .. بل لتسهيل صرف العطاءات .. المرتبات التى التزمت بها الدولة إزاء جميع رعاياها .. منذ لحظة مولدهم .. وقبل أن يولد ماركس بثلاثة عشر قرنا ! .. ودون حركة سياسية ولا نقابات ولا أحزاب ! بينما لايزال يدور نقاش حاد حول إعانات العاطلين ومعاشات التقاعد فى أوروبا وأمريكا .. وهل يتفق ذلك مع روح المجتمع الأمريكى « العظيم » والحضارة الغربية .. إلخ ..

وعمر بن الخطاب يرى شيخا يهوديا يسأل الناس ، فيعلن أن الدولة

---

(١) حديث شريف

لم تنصف اليهودى .. أكلت شبيبته وضيعت شيخوخته .. ويأمر له بمعاش!.

وإلى الآن لم نر نظاما اجتماعيا يفرض للناس مرتبات . وعمر رضى الله عنه ، عندما قرر للذين بلغوا الفطام .. وسمع طفلا يبكى لأن أمه تريد أن تفطمه ليسجل فى كشوف المرتبات ، بكى وأنب نفسه قائلا : « ويحك ياعمر . . كم قتلت من أبناء المسلمين » وأمر أن يقرر المرتب لكل طفل يولد . .

أقصى ماوصلت إليه الحضارة الغربية وباسم الاشتراكية هو « من كل قدر طاقته ولكل حسب عمله .. » إنه شعار صيارفة ! .. أو « من لايعمل لايأ كل » .. تأمل هذا الشعار .. انه حقا شعار وحشى .. شعار الغابة .. الضباع أيضا من لايعمل فيها لايأ كل ! ..

أما حضارتنا فيقول عمر . « كنا نعد المقرض بخيلا .. انما كانت المواساة » . « والله لئن بقيت ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه » .

أريد أن أقول : إن الاستغلال والاحتكار والطبقية ليست لها جذور فى المجتمع العربى .. لأن الطبقية والاستغلال ، لايقومان على مجرد رغبة المستغل فى الاستغلال ، أو شهوة الطبقات المالكة للاحتكار والاستئثار بالسلطة .. بل تقوم أساسا على تقبل المحكومين لهذا الوضع .. تقبل الفقراء أن يستغلهم ويجيعهم فريق منهم .. باسم الامتيازات الطبقية !

الرأسمالية لاتعيش فى أوربا وأمريكا بمجرد تمسك الرأسماليين بها .. إذ أن الرأسماليين طبقا للنظرية الماركسية ، أقلية ضئيلة ، ولو اعتمدوا على قوتهم وحدها لما استمر حكمهم ساعة واحدة .. إنما يبقى النظام

الاستغلالى هناك لإيمان الجماهير المستغلة نفسها به ، واستعدادها للموت دفاعا عنها !

إن الحضارة الغربية ـ كما قلنا ـ تؤمن حتى النخاع ، بانعدام المساواة بين الناس ، وبأزلية النظام الطبقى .. بعكس حضارتنا . فنحن أمة من تراثها « عجبت لمن بات لايجد قوت يومه ، وأصبح لايجد قوته .. ثم لايخرج على الناس بسيفه » ..

وقد أصاب المسلمون يوما قماشا ، فقسمه الخليفة « عمر » على الناس فكان نصيب كل مسلم قميصا .. وكان عمر طويل القامة ، يمشى كأنه راكب » .. فخرج على الناس للصلاة وقد لبس قميصا يغطى ركبتيه .. ونادى فى المسلمين : « ياأيها الناس ! اسمعوا وأطيعوا .. »

ـــ صاح مواطن : « لاسمعا .. ولا طاعة »

وفزع عمر يسأله لماذا ؟ .. وأجاب الرجل لأن كل منا أصابه قميص ، فمن أين جئت أنت بما يكفى لستر عورتك وأنت أطول منا ؟ ! ويبادر عمر فينادى ابنه الذى يفسر ذلك بأنه أعطى أباه أمير المؤمنين نصيبه من القماش ! ويقتنع الرجل .. فيعلن : « الآن .. نسمع ونطيع ! »

نعم ! أنا أعرف أنها قصة قديمة .. ولكن ماأريد أن ألقى عليه الضوء هنا .. هو عبرتها ، لا من ناحيه سلوك عمر .. بل سلوك الرعية .

ان الاستدلال بها على زهد عمر ليس أروع جوانبها بأية حال ..

ان ظهور حاكم زاهد أو نزيه ممكن فى كل العصور ، وكل النظم .. ولا تبنى الحضارات ، ولا تبعث الأمم بظهور حاكم نزيه .. إنما تقاس عظمة الحضارة بالتكوين النفسى للمواطن فيها .. الفرد العادى ..

وهذا المواطن منذ ١٤ قرنا .. يقلقه عدم المساواة .. ويرى فى استئثار الحاكم بمتر من القماش ، أكثر مما نال المواطن من رعيته ، مبررا كافيا لخلع الطاعة واعلان الثورة !

مثل هذا الإيمان هو الذى يخلق أمة لاتقهر !

---

(١) هذه هى الأمة التى يتقول عليها « لويس عوض » ويزعم انها تعلمت الحرية من أوربا ، وان كلمة حرية لا توجد فى اللغة العربية ! .. بينما يعترف خرشوف أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى كانت تعرف جرائم ستالين ولكنها اقتنعت أن أى معارضة ، هى عملية انتحارية وغير مجدية !! ويقول السفير الروسى فى لندن فى مذكراته من باب مدح نفسه ، أنه بدأ « يشك فى إمكانية أن يخطىء ستالين » ، .. وهو طبعاً لم يشك فى ذلك إلا بعد حرق جثة ستالين وذر رمادها .. انى اعتقد أن الديكتاتورية تنبع من الشرك فى صميم الضمير الغربى . . لأن المسلم لا يسلم بقدسية عقل بشرى .. وعندما علم الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، المسلمين التوحيد ، علمهم حرية الرأى ، واحترام الفكر .. فلما انزلهم فى غزوة بدر موقعا معيناً .. جاء الحباب بن المنذر يرسى قواعد الديمقراطية للملايين السنين .. سأل رسول الله : أرايت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال الصادق الأمين : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل . . فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء ... الخ . . فيقول رسول الله : لقد اشرت بالرأى . ونهض رسول الله ومن معه من الناس إلى حيث أشار الحباب بن المنذر .. الجندى فى جيش المسلمين ..

هذا هو الإسلام .. ارادة الله وحدها هى التى لا تناقش .. أما إذا كان الرأى لرسول الله ، فلا قدسية لتفكير بشرى ، وحق لكل صاحب رأى أن ينتقد وأن يقترح .. وحق على رسول الله أن ينزل على الرأى الصواب .. وبعد ١٤ قرنا يفتخر سفير روسيا المادى الجدلى بأنه شك فى امكانية خطأ ستالين !

ألا يحق لنا أن نتيه على الدنيا باسلامنا !؟

(راجع سيرة ابن هشام . ومذكرات السفير الروسى بآخر ساعة ابريل ١٩٦٥).

وتأمل كيف تقبل الحاكم هذه المساءلة بكل بساطة . . والتزم بأن يشرح موقفه !

نحن أمة لاتحتاج لمن يعلمها الاشتراكية . . حسبنا أن نعلم الناس الإسلام ، ثم أرونى مستغلا يقدر على استغلالهم ! . .

إن الدولة الحارسة لم تعرف فى تاريخنا الإسلامى . . دولة : دعه يعمل دعه يمر . . غريبة علينا . . الدولة الحارسة التى ظهرت فى أوروبا الحديثة باعتبارها أكمل نظام للحكم ، يطلق ملكات الأفراد ، وينمى طاقات المجتمع . . وهى الدولة التى تقتصر مهمتها على الدفاع والأمن والقضاء . . هذه الدولة لم يعرفها تاريخنا . . بل التزمت الدولة من اليوم الأول — كما رأينا — بجميع الواجبات[1] . . فالتزمت بصرف المرتبات لكل من يولد . . وبتحديد الأسعار . . بل كان الفقهاء يلزمون الدولة بتزويج من لا يقدر على الزواج . . وسأل عمر السيدات عن أقصى مدة تتحملها الزوجة المفارقة لزوجها ، حتى يضع على أساسها نظام اجازات الجنود ! . .

الدولة التزمت عندنا بكل المسئوليات . . والرعية حملت الدولة هذه المسئولية فيما كبر وصغر . . مع الحماية الكاملة للحرية الفردية

كان عمر رضى الله عنه جالسا . . فجاء اعرابى وناقته تعرج وقال :

إنك مسترعى وإنا رعيـــة

وإنك مـــدعو بسيماك ياعمر

---

(١) كان كتاب الرأسمالية عملاء الغزو الفكرى فى القرن الماضى والنصف الأول من هذا القرن ينتقدون حضارتنا التى يعتمد فيها الفرد على الحكومة . ويطالبها بكل شىء .. وها هى قد أصبحت فلسفة العصر ..

فيحوقل عمر . . مستعيذا من عظم المسئولية . . ويسأل الرجل عن شكواه ، فيحدثه عن ناقته العرجاء ، فيأمر عمر له بجمل أحمر . .

أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، وزوجة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، بعثت إلى ملكة الروم بطيب واحفاش من أحفاش النساء . ودسته إلى البريد فأبلغه لها ، وأخذ منه . وجاءت امرأة هرقل وجمعت نساءها وقالت هذه هدية امرأة ملك العرب ، وبنت نبيهم وكاتبتها وكافأتها ، وأهدت لها ، وفيما أهدت عقد فاخر ، فلما انتهى به البريد إليه ، أمره بامساكه ، ودعا : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا . . وصلى بهم ركعتين . . وقال : إنه لا خير فى أمر ابرم عن غير شورى من أمورى ، قولوا فى هدية اهدتها أم كلثوم لا مرأة ملك الروم ، فأهدت لها امرأة ملك الروم .

فقال قائلون : هو لها بالذى لها . . وليست امرأة الملك بذمة فتصانع به ، ولاتحت يدك فتتقيك . وقال آخرون : قد كنا نهدى الثياب لنستثيب ، ونبعث بها لتباع ولنصيب ثمنا . .

فقال : ولكن الرسول رسول المسلمين . . والبريد بريدهم . .

والمسلمون عظموها فى صدرها . . فأمر بردها إلى بيت المال ، ورد عليها بقدر نفقتها[1] .

هكذا يفهم عمر بن الخطاب القطاع العام كما نسميه ، أو الأموال الأميرية . .

المهدى إليها استخدمت بريد الدولة . . وموظف عمومى ، هو الذى

---

(١) الطبرى

حمل هديتها ، واهتمام ملكة الروم بهدية أم كلثوم ، يعود إلى مركزها كزوجة أمير المؤمنين . . هذه المكانه التى صنعها المسلمون لدولتهم . . وبالتالى فعظمة أم كلثوم انما ترجع لجهد الأمة الإسلامية . . فليس من حقها أن تستغل جهد الأمة وتدعى انها تعظم لنفسها !

لكل هذه الاعتبارات . . ليس من حق أم كلثوم أن تأخذ الهدية التى بعثتها ملكة الروم .

وتأمل ردود المسلمين ، ليست بذمة فتصانع ، ولا تحت يدك فتتقيك ، اى ان فى مثل هذه الحالات يجب رفض الهدية بلا مناقشة لأن الرشوة واضحة .

واستعمل رسول الله رجلا من الأزد على صدقات بنى سليم فجاء بزكاتهم فسلم الرسول اموال الدولة وبقى معه بعض المال وقال : هذه هدية أهديت لى . . فظهر الغضب فى وجه النبى ، وقام وخطب الناس ، فقال « إنى أستعمل رجالا منكم فيقول هذا لكم وهذه هدايا أهديت لى . فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى إليه أم لا . ؟ ؟ » .

لا أريد أن أطيل الحديث فليس هذا هو موضوع كتابنا هذا . . أريد ان اقول أننا قد أذلنا البعد عن دينا . ولا يحررنا الا العودة اليه فليست الماركسية هى التى تحررنا . . بل الإسلام .

أمّا جعجعة الشيوعيين حول الرجعية والرجعيين . . وأن الذين ينتقدون الشيوعية ويقاومونها ، هم الرجعيون . . فهو مجردهراء . . فمتى كانت الرجعية تخشى الشيوعية فى الوطن العربى ؟

وما الذى بقى للرجعية فى مصر لتخشى عليه من الشيوعية ؟ بعد أن قصمت الاشتراكية ظهرها ، وجردتها من كل ما جمعته من استغلال الجماهير ، والرضوخ للاستعمار . . بل أستطيع أن أقول إن الرجعية — برغم كل ما تشيعه وتروجه فى خبث — هى آخر من يصدق أن بلادنا شيوعية ، أو تسير نحو الشيوعية .

نحن نؤمن أن بلادنا لن تصبح شيوعية ، لأننا نثق بأنفسنا وبصلابة شعبنا . . ولو كانت القضية ، هى استيلاء الشيوعية على البلاد ، لما شغلنا بالنا لحظة واحدة . . ولأبشر مائةمليون «مربع» بطولسلامة . . ولكن الخطر يكمن فى التخريب الذى يحدثه الفكر الشيوعى . . مما يمهد للقوى المتربصة بنا ، ويفتح لها الطريق لتضرب ضربتها . . خاصة وأن الشيوعيين العرب بالذات . . لا أصالة لهم ولا جذور قومية . . غرباء المنبت والمذهب ، شواذ السلوك . . إنهم يكتبون فى مجلة حوار . . ويمدحون

إليوت . . ويصدرون النشرات للدعوة لانتخاب جونسون . . ويعدون من مساوىء جولد ووتر أنه يدعو لإبادة اليهود[1] ! . .

اما الرجعية فلا يعنيها الدين ولا يقلقها مصير القومية ، وهى تتمنى أن تصبح العالة منطق الجميع . . وفرصتها الوحيدة الآن ، هى التخريب المزدوج عن طريق بث القلق فى الجماهير بنشر الأفكار الشيوعية التى تتحدث عن نزع ملكية الفلاحين وصغار المنتجين والملاك فى المدن . وباعطاء صورة مشوهة لاشتراكيتنا فى الخارج باصطناع قسمات شيوعية ، تدعم حجة الرجعية ، التى مافتئت تراهن على أن طريق الاشتراكية نهايته الشيوعية ، وطريق العداء للغرب نهايته الانحياز للشرق . .

ولا شك أن مما يفسد هذا المخطط ، هو التصفية الشاملة للفكر الشيوعى عن طريق تعريته وفضحه وتفنيده . .

كذلك لايخفى خطر تحالف الشيوعيين والرجعيين ، ولقد رأينا هذا التحالف أكثر من مرة ، منذ دفاعهم عن سجناء الثانوية العسكرية[2] . . والجبهة التى كونوها مع « رجالات مصر » (هكذا) .. إلى فضيحة التحالف مع الانجليز فى تخريب الثورة العراقية وتحطيم الوحدة[3] .

اذن فقد تحالف الشيوعيون مع اليمين الرجعى ، والاستعمار الأجنبى .. واذن فبديهية أن الرجعية هى التى تعادى الشيوعية بديهية فاسدة .. وقد

---

(١) « جولد ووتر اله الحرب الجديد » عن دار الملايين

(٢) راية الشعب : صحيفة الحزب الشيوعى المصرى . فى حملتها على ثورة يوليو.

(٣) قال الاستاذ أحمد بهاء الدين فى مقال قصة الشيوعية فى مصر (المصور ٤ مارس ١٩٦٥) : ولما كان الاستعمار الأجنبى واليمين الرجعى فى المنطقة =

حاربنا الشيوعية والشيوعيين فى معركة العروبة منذ نهاية ١٩٥٨ ، ولم نسقط فى احضان الرجعية ، بل هم الذين سقطوا .. وذلك بالرغم من عزفهم نغمة الرجعية والرجعيين[١] ..

ان اتهامات الشيوعيين ، لاتساوى ، ما يعلق بالحذاء ، إذا ما اضطر المرء إلى أن يخوض فى الوحل ..

أليسوا هم الذين اتهموا الجمهورية العربية المتحدة ؛ بما لم تجرؤ آلة الدعايات المعادية على ترديده ؟ !

قالوا :

« هل إن (!!) من التضامن العربى ، خضوع حكام القاهرة لمشيئة الدول الاستعمارية فى الآونة الأخيرة ، وامتثال أوامرها ، ومضايقة أعضاء الحكومة الجزائرية الحرة . والحيلولة دون تنامى نشاطها »[٢].

أرأيت .. نحن كنا نعمل ضد حكومة الجزائر الحرة ، امتثالا لمشيئة الاستعمار ؟ !

= العربية كلاهما حريصان فى ذلك الوقت على تحطيم الوحدة ، فقد وقف الكل فى صف واحد مع الشيوعيين » .

(١) « وحدة الصف الوطنى أو الجبهة الوطنية الموحدة لدى جريدة « اتحاد الشعب » (الشيوعية) يعنى أن تكون الاطراف الوطنية اتباعا لها ، وإذا تجرأوا فشكوا أو عارضوا فهم « خونة » و « عملاء » و « رجعيون » . .

من افتتاحية صحيفة الأهالى ١٠ آذار ١٩٦٠ .

(٢) صحيفة المبدأ لسان حال الحزب الشيوعى العراقى (المرخص) ١٣ كانون الثانى ١٩٦٠

وأيضاً :

« بل هل ان من التضامن أن يسعى حكام العربية المتحدة فى الآونة الأخيرة إلى ايجاد منافذ تربطهم بالدول الأعضاء فى « السنتو » أو حلف بغداد المقبور بحجة مكافحة الشيوعية ، فى حين ان كلمة الأمة العربية لم تجمع على شىء مثل إجماعها على شجب هذا الحلف الاستعمارى ودك قواعده »

حتى حلف بغداد عملنا لحسابه ؟ ! .. أمثل هؤلاء يؤبه لكلامهم ؟ !

وأيضا : « الا ان المتآمر الطبقجلى (الشهيد ناظم الطبقجلى بطل العروبة والاسلام . أعدم فى الفتنه القاسمية ٢٠ سبتمبر ١٩٥٩) ومن لف لفه يتحاشون ذكر كل الحقائق ، ويصورون مؤامراتهم كما لو كانت (ثورة محلية) على الالحاد الشيوعى والتبعية والعزلة القومية .. وقد برأ الطبقجلى حكام المتحدة . واعتبر المؤامرة بأنها حركة جماهير الموصل المنتفضة لصيانة معتقداتها القومية والدينية .. وغير ذلك من المزاعم الناصرية المعروفة ، التى توجت باختراع أساطير حرق القرآن . وتجنيد بعض رجال الأزهر لاصدار (فتاوى الجهاد) ضد العراق « الشيوعى الملحد » وضد ابنائه « التتار » .. ان كل خونة العراق سابقا ولاحقا كانوا ولا يزالون يتمشدقون باسم « القومية » و « الدين » وهما براء منهم .. ألم يفعل ذلك نورى السعيد والجمالى وعبد الاله وكنه ويهجت العطيه ؟ ! ألم يفعل ذلك عبد السلام ورشيد عالى والشواف ؟ »

« فبعد أيام قلائل لا غير على انتصار الثورة ، بادر عبد السلام عارف إلى ابرام (العقد القومى) مع حكام المتحدة لإلحاق العراق بالعربية المتحدة . وطبيعى ان مثل هذا العمل لا صلة له بالعقيدة والمبدأ .. بل هو خروج

على القانون (تأمل) ومعاداة للجمهورية وخيانة وطنية . »[1]

حقا ان الشعب العربى لن يسمح لقالة هذا اللغو بالعودة مرة ثانية إلى مسرح السياسة ..

« إننا سنتصر — حتما — ما زلنا واقفين ضد الرجعية والاستعمار .. ما زلنا ملتفين حول زعيمنا البار « عبد الكريم قاسم » العالم ببواطن الأمور (سبحانه !) والمعادى العنيد للرجعية ، والقابض بيديه على مستمسكات ثبوتية تدين الطامعين »[2] .

الى سقر ، وبئس المستقر ، هم وزعيمهم ومستمسكاتهم ..

وأفظع من هذا ..

« هتف (أحدهم) عاش الجيش العراقى نصيرا للعروبة والاسلام ! وهو الهتاف الذى يردده المتآمرون الهاربون والطامعون من إذاعات عبد الناصر ، لما فيه من تحريض مكشوف لجيشنا الباسل باسم حماية الدين والعروبة فى العراق »[3]

اذن فلن تروعنا اتهاماتهم وادعاءاتهم وتشنجاتهم .. فقد اتهموا من هو أعز منا واكرم .. فبقى وفنوا هم تحت اسوار وزارة الدفاع .. ومازال قتلاهم وزعيمهم يهوون فى نار جهنم .. سبعين خريفا بإذن الله ..

---

(١) صحيفة اتحاد الشعب لسان حال الحزب الشيوعى العراقى (غير المرخص) بتاريخ ١٩٥٩/٨/٢٤

(٢) « صوت الأحرار » الشيوعية ٢٨ ايلول ١٩٥٩

(٣) « صوت الأحرار » الشيوعية ٢٤/ ٢ / ١٩٦٠

أحسب اننا قد خضنا بعيدا فى الحديث .. وآن أن نحدد وأن نجمع الخيوط لنقول ما هى أسلحة الماركسية فى الغزو الفكرى .. وما هى نقط الاصطدام بحضارتنا ووجودنا القومى .. ومن أين ينبعث الخطر علينا ؟ ..

الماركسية دعوة لا دينية ..

والماركسى الذى يزعم انه لا يعارض الدين .. كاذب . والشيوعى الذى يثنى على الدين .. منافق

الماركسية نظرية مادية ، والمادية تنكر الأديان .. المادية تؤمن باسبقية المادة على الفكر .. والدين عندها فكرة .. صنعتها المادة ..

الدين فى الماركسية إفراز ثقافى أو فكرى لوضع مادى ، هو الوضع الطبقى . جاءت به الطبقات المالكة لتحكم به الطبقات الكادحة ، إما عن طريق إقناعها بأن النظام الطبقى هو إرادة الله الذى قسم الناس إلى طبقات. أو بتلهيتهم عن الكفاح بتعليلهم بأمل التعويض فى العالم الآخر حيث يأخذ المحرومون ويحرم الذين أخذوا .. حيث دخول الغنى ملكوت الله أصعب من دخول الجمل سم الخياط .. ويكوى الأغنياء بما جمعوا من أموال ! ..

ولذلك تنبأت الماركسية بان الاديان التى ظهرت مع النظام الطبقى ستزول بزواله ، أو فى اعقاب هذا الزوال[1] .

---

(١) لأن الافكار تكتسب القدرة على الانفصال والبقاء حتى بعد زوال أسبابها المادية

الشيوعى يؤمن بان الدين هو أحد اسلحة الحرب الطبقية ، وإذا زالت هذه الحرب فسيوضع الدين فى المتحف ، كما سبق أن وضع السيف والدرع . !

وعندما يتحدث الشيوعى عن حرية الأديان ، فإنما كمظهر من مظاهر تسامح الدولة اللادينية ، التى لا تتعصب لدين بعينه . . وكوسيلة ذكية للقضاء على الدين ، الذى هو ـ كما يقول لنين ـ لو ترك وشأنه فسيذوى .. لأنه يعيش ويقوى بالاستشهاد .. ولكن الحزب الشيوعى يجب أن يكافح الدين بين صفوف أعضائه على الأقل .

ولا أظننى بحاجة إلى نقل عدد من النصوص التى تهاجم الدين ، ولا المؤلفات التى كتبت ضد الدين بأقلام الشيوعيين .. فلا أظن أن شيوعيا يحترم نفسه ينكر تعارض الماركسية مع الدين .. وأنه لا يمكن ان يكون المرء مسلما أو مسيحيا وماديا جدليا فى نفس الوقت ..

وصحيح أنه من الممكن أن يعطى المتدين صوته فى الانتخابات للشيوعيين .. ولكن ليس هذا ما نعنيه .. كما أن نظرة الماركسية للدين تتنافى مع نظرتنا ..

وفى هذه الايام نسمع ثناء مستفيضا على الدين ، وعلى الاسلام بالذات ، من بعض الشيوعيين ، ونحن نشكرهم بالطبع ، ونعرف أنها كلمات تقال للمجاملة .. أو حتى عن صدق .. ولكننا نختلف معهم كما يقول عمار اوزيجان الجزائرى المسلم : « تستعجل العقلية العصرية كثيرا فى توديع الأديان كلها توديعا مأتميا ، دون أن تدرك أن الايدلوجية الاسلامية ليست محتضرة ، بل فى كامل اندفاعها وحركتها .. » (١)

---

(١) الجهاد الأفضل : عمار اوزيجان

فنحن نرفض كلمات التأبين التى يقولها الشيوعى ، وهو يودع الإسلام! نرفض التحليل الذى يقول بأن الإسلام كان عظيما فى حينه ، ومن واجبات العظيم أن يفسح السبيل للعظيم الجديد الذى بشر به ماركس ! نحن لا نسلك ماركس فى عداد أصغر تلاميذ فقيه من فقهاء الإسلام ، ونعتقد بكل فخر أن الإسلام ـ حقاً ـ صالح لكل زمان ومكان . . وأننا بعد أربعة عشر قرنا لانجد فى الإسلام جزئية واحدة يحس إزاءها المرء بالحرج أو الحيره على ضوء التطور العلمى والتقدم الحضارى . . ولا نجد قيداً واحداً يحول بيننا وبين بناء حضارة عصرية قادرة على أن تحل مشاكلنا بل وأن تقدم الحل الأكمل للبشرية كلها[1] .

الإسلام لم يكن مرحله من مراحل تطور البشرية . . ومع إيماننا بالوحى . . فإننا نقبل الاحتكام للقيم البشرية التى جاء بها الإسلام ، إن كان قد عفى عليها الزمن .

لو قام الدليل على أن المساواة الحديثة ، قد تخطت مساواة الإسلام ،

---

(١) القرآن لا تقوم مقامه عقيده أخرى ، فلسفية ، نستخرج لها من أحكامه الملاءمة لكل دهر وجيل ، ومن المستحيل أن ننهض وهو ملقى وراء ظهورنا ، نعم الإسلام دين الإنسانية الخالد وهو الذى وطد دعائم الأمة العربية فيما سبق ، وهو الذى ينهض بها فى الجديد ، به تتوحد كلمة الشعوب وتزدهر حضارتهم .. فلنصطف من جديد تحت رايته الظافرة لنعيش كراما سعداء كما عاش أجدادنا .. كى ننشر مجدنا من جديد وننشىء دولة شديدة الأواصر رائدها القرآن وشعارها الإسلام .

محمدى السعيد نائب رئيس جمهورية الجزائر
فى كتيب الاشتراكية والإسلام

أو أن العدل الحديث قد فاق عدل الإسلام ، أو أن الحرية فى القرن العشرين تزرى بحرية القرن الأول الهجرى . . عندئذ سنصدق أن الإسلام كان مرحلة على الطريق !

ولكن . . العكس هو ماتراه . . مازالت الحضارة الغربية تسعى خلف القيم الإسلامية ، فلا تكاد تدركها .

الانقلاب الكنسى الكبير ، بإعلان البروتستنتية ، والانشقاق على الكاثوليكية ، هو ثمرة الاتصال بالمسلمين . . محاولة إلغاء الكهنوت إيجاد دين بلا كهانة . . أى إسلام . ! ولكنهم لم ينجحوا . .

كل المذاهب . . حتى الكاثوليك اضطروا لإباحة الطلاق . . ولم يعد متزوج المطلقة أو الأرملة يزنى بها . . تماماً كما قال الإسلام منذ ١٤ قرناً . .

الثورة الفرنسية جاءت تنادى بالإخاء والحرية والمساواة . . ولكن أخوة الاسلام . . وتعايشه السلمى مع غير المسلمين ، لم تصل إليها أوروبا حتى اليوم .

أوربا إلى القرن العشرين ، كان القانون الدولى عندها يقتصر على مايسمونه « الأسرة الدولية » أى مجموعة الدول البيضاء . . أما باقى البشر فسائمة لا يلتزم البشر البيض أمامهم بقانون !

والاسلام كان يدعوهم فى القرن الأول للهجرة إلى الاسلام أى المساواة المطلقة . . وفرنسا فى القرن الرابع عشر للهجرة كانت تشرع وتستثنى المسلمين ، رغم إصرارها على اعتبارهم مواطنين فرنسيين !

الحضارة الغربية لم تفهم المساواة إلا على أساس قصرها على الجنس

الأبيض وحده . . وحتى الشيوعية كما رأينا لم تستطع أن تقتلع الايمان بتفوق الجنس الأبيض .

والثورة الفرنسية التى يتغنون بها ، هى التى قتلت وأحرقت، وأعدمت على الخازوق فى مصر فى سنواتها الأولى . وليس بعد تحولها إلى الاستعمار كما يحلل الماركسيون .

ثوار باريس الذين خرجوا من خلف المتاريس بعد إسقاط شارل العاشر ، هم الذين ذهبوا بعد ذلك إلى الجزائر ففتكوا بأهلها . .

الحضارة الغربية لا تعترف بأن الأجناس الأخرى بشر مثلهم . .

فى أمريكا مازال الصراع قائماً حول حق الاقتراع للزنجى ، رغم مرور مائة عام على تحرره ! ودعنا من المساواة الحقيقة . . أى اندماج الأسود فى حياتهم اليومية .

والعرب اليوم فى أشد مناطقهم تخلفاً لا يميزون بسبب اللون ! وعمر منذ ١٤ قرناً يقول . أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا . . أى بلال .. ويولى عمار بن ياسر الإمارة . . رغم معرفته بأنه لا يصلح للولاية . . إقرارا لمبدأ المساواة المطلقة .. وتحقيقاً لقوله تعالى . . « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين »

وعمر يقول : « لو كان سالم مولى حذيفة حيا لاستخلفته » أى جعلته أميرا للمؤمنين ، وفيهم عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس والزبير وطلحة وسعد بن أبى وقاص ومعاوية . . رضى الله عنهم . . وسالم هو العبد الذى أعتقته امرأة من الأنصار ! . .

ورسول الله صلوات الله عليه يسمع أبا ذر يقول لبلال: يابن السوداء .

فيتملكه الغضب حتى يكرر « طف الصاع . . طف الصاع [1] ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو عمل صالح . . ! » ويعلن أن أبا ذر امرؤ فيه جاهلية . . ويبلغ الألم بأبي ذر حدا يجعله يضع رأسه على الأرض ويطلب من بلال أن يطأ وجهه بنعله ! . .

وأبو ذر قاطع طريق قديم ، وله سبق فى الاسلام حتى على بلال . . نافر معاوية أمير الشام ، فلم يقدر عليه معاوية إلا أن يشكوه لعثمان . . ولكنه بالاسلام وحده يضع وجهه تحت نعل العبد الزنجى الذى رفعه الإسلام إلى أعلى المراتب ! . .

اذا لم يكن ذلك وحيا من السماء فكيف يتفوق رجال الصحراء منذ ١٤ قرنا على أبناء القرن العشرين ، صناع وثيقة حقوق الانسان . . قادة الثقافة الغربية . . رجال الديمقراطية الأمريكية فى ولايات الآباما وارکنساس . . وتكساس . . . الخ !

ثم كانت الثورة الشيوعية ! تحقق المساواة باسم السوفيتية ، فتلغى الفروق بين الشعوب والقوميات . . هكذا قالت . .

ورغم مرور نصف قرن . . فماذا لدينا من أدلة ؟ . . ما زلنا نرى أن العناصر البارزة فى كل الميادين هى من الجنس الأبيض . . ومن القومية الكبرى غالباً . . بينما لم يكد يكتمل القرن الأول حتى كان معظم الفقهاء فى الدولة الاسلامية من غير العرب !

اننا ـ كما قلت ـ نرفض الثناء الشيوعى على الاسلام ، اذا

---

(١) أى أن الأمر خطير وتجاوز كل حد . .

كان من قبيل إبراء الذمة ، فنحن نؤمن أن للاسلام رسالة سيحققها ١ وأنه الدواء لمشاكل الجنس البشرى فى هذا العصر . . بأخوته وتسامحه ، بايمانه المطلق بالمساواة ، بحيويته ، بإقباله الواعى على الحياة . .

وهو سبيلنا إلى بناء حضارة . . وهو رسالتنا إلى أفريقيا . . ليس لدينا ما نقدمه لأفريقيا السوداء . . سوى دين بلال . . دين : أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لادم ، وآدم من تراب ، ليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على ابيض ولا لأبيض على أحمر ، فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت اللهم فاشهد . . فليبلغ الشاهد منكم الغائب . .

صلوات الله عليك يارسول الله . . ذلك ماحرصت على أن تبلغه البشرية جمعاء فى حجة الوداع . .

ألا هل بلغت ؟ ..

اللهم نعم !
اللهم نعم !
اللهم نعم !

---

(١) لا يترعرع شعب الا فى ظل المبادىء الطاهرة التى خلفها له سلفه المجيد، ومن ماضيه يستمد العظمة والمنهاج الحافزين له للوصول إلى أوج التقدم والحضارة وهذا مالاحظناه فى أثناء كفاحنا .. وفى الختام لا يتحقق لنا نظام سياسى واجتماعى واقتصادى إلا إذا كان مستمدا من ديننا الحنيف وملائما لاخلاقنا الكريمة وشخصيتنا الممتازة .

محمدى السعيدى
نائب رئيس الجمهورية الجزائرية

إذن فالنقطة الأولى التى تجعل الماركسية ضربا من الغزو الفكرى ، هى معاداتها للدين .. وهى هنا أخطر من عصابات المبشرين لأنها لاتدعو لدين فتستفز العصبية ، بل تدعو إلى الخدعة المنسوبة لعمرو . تدعو إلى الإلحاد .. وتكون النتيجة تخريب الاسلام ..

ولا شك أن الكتابة فى هذا الموضوع شائكة ، من كثرة ما زيف الاستعماريون الغربيون ضد الشيوعية ، وما تهتك المتحمسون للشيوعية فى دفاعهم وحماسهم ..

ولكنى آثرت أن أنقل من كتاب (اسرار ما وراء الستار) [1] .. لأن مؤلفه يصلح كشاهد محايد .. فهو مسلم .. وأيضا عاطفى ومعجب (بالاتحاد السوفيتى) ..

« والنظام السوفيتى يسرى على الجمهورية (أذربيجان) الآن دون شريك ، وبمقتضاه شملت المساواة الطبقات والافراد ، كما شملت الذكور والاناث ، وكان من نتيجة ذلك أن تساوى الجنسان فى الارث والشهادة والوصاية والتضامن فى النفقات [2] ، هذا فضلا عن المساواة فى الأعمال

---

(١) محمد جميل بيهم .

(٢) أكبر اكذوبة جاهله ، هى الزعم بأن الاسلام يفضل الذكر على الانثى =

والاجور والضمان الاجتماعى . . وبالتالى منع تعدد الزوجات ، وانحصرت مهمة عقود الزواج بالموظفين المدنيين دون سواهم ، أما الطلاق فهو موجود أسوة بسائر الجمهوريات : ولكنه لا يقع إلا فى حالات محدودة وبحكم من المحكمة المدنية ». . « وأما الذى ظل سليما من هذا النظام فهو الأسماء العربية التى لا تزال منتشرة بين الرجال والنساء » ١ .

اذربيجان . . دخلها الاسلام سنة ٢٤ هجرية أى قبل شمال أفريقيا . . قبل الجزائر . . وفى تاريخ مقارب لمصر . .

وانتاجها من النفط سبعون الف طن اكثر من انتاج ايران ، (!!) وبها الحديد والمانغنيز ، والقطن والكروم والحمضيات والفواكه ٢

واذربيجان بها «ثلاثون الف مخطوط منها ١٢ الف مخطوطة عربية » ولا يوجد بها معهد لدراسة العلوم الاسلامية والشؤون الدينية ، وأما تعليم الشريعة الاسلامية فى مدارس خاصة أو مدارس حكومية فلا وجود له البتة فى أذربيجان »

« وقد شكرنا عمدة المجمع على مازودنا به من معلومات ، وودعناهم

= عامة .. وعلى أساس التقسيم الجنسى .. أى لمجرد ان هذا ذكر وهذه أنثى إذ الواقع ان هذا التفضيل فى بعض الحالات ، وفى حالات أخرى ترث الأنثى اضعاف ما يرثه الذكر وفقا لعلاقتها بالموروث فالتقسيم هنا لا علاقة له بالجنس . . من حيث كونه رجلا وهى امرأة أولأن المرأة أقل من الرجل . وليس هنا مكان التفصيل .

(١) ص ١٥٤

(٢) ص ١٥٥

ونحن معجبون بتلك النهضة العلمية الجبارة ، ومشفقون فى نفس الوقت على مصير الاسلام فى تلك الجمهورية المسلمة أو بكلمة أصح التى كانت مسلمة »[1]

« هذا وقد فهمنا من بعد أن فى باكو خمسة مساجد ، أقفل أحدها لنقص عدد المصلين . وإنى لأخشى إذا انقرض الجيل الحاضر وانقرض معه المحافظون ، أن تغلق أبواب المساجد الباقية ، خصوصا وأن التعليم الاسلامى لم يبق له مدرسة واحدة فى أذربيجان »[2]

ولا يقتصر الأمر على الثقافة الاسلامية ، بل يروى نفس السائح : « دعينا فى اليوم التالى لزيارة رئيس جمهورية أذربيجان . . ولما وصلنا إلى دار الرئاسة ، لم نجد أحدا من رجال الشرطة والأمن والدرك عند الباب ، ولا حرسا آخر شاكى السلاح مما كنا نشاهده فى بلادنا فى عهدى السلطنة والانتداب ، ومما لا نزال نلقاه فى عهد الاستقلال .

وكان مثار إعجابنا نحن الذين ألفنا رؤية الحرس ، وهى لا تقتصر على قصور رؤساء الجمهوريات ، ودور الرؤساء الآخرين ، بل تشمل بعض الذين أقيلوا من مناصبهم أو قضوا نحبهم .

وعلى حسب العادة استقبلنا رئيس الجمهورية حول مائدة حافلة بشتى أنواع الفواكه الفاخرة ، ودار بيننا وبينه حديث طريف انتقل من المجاملات

---

(١) ص ١٧٣

(٢) ص ١٦٨ .. وبالنسبة للاسلام فالقضية جد خطيرة بل أكثر خطورة من وضع الاديان الأخرى .. لأن الاسلام لا يستند إلى أكليروس أو نظام كنسى أو طقوس تبقى الدين . بل لاعتماده على التربية الاسلامية والثقافة الاسلامية . فإذا انقرضت انقرض المسلمون واختفى الاسلام . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إلى بعض الشئون العامة ، ولكنا لاحظنا خلال الحديث أنه غير ملم بشئون لبنان ، إذ بدر منه سؤال يشير إلى أنه لايعرف شيئاً عن موطن الجمال والإشعاع . فقد سألنا الرئيس « إذا كانت لغة لبنان هى نفس لغة سوريا »

وقد أخذنا العجب من هذا السؤال خصوصاً وأن الرئيس الشاب الذى يدعى ميرزا إبراهيموف ، أديب كبير ومؤلف رفعته شهرته فى الأدب إلى مقام رياسة الجمهورية ، وقد تلطف فأهدانا كتاباً من تأليفه فى موضوع قصصى . » [1]

ولا أرانى بحاجة إلى تعليق . . .

---

(١) ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

اللاقومية

هى النقطة الثانية . . بعد الدين . . التى تجعل الماركسية غزوا فكريا . .

فالماركسية نظرية « أممية » ، تدعو إلى وحدة الجنس البشرى ، عن طريق وحدة الطبقة . .

والقومية عندها ظاهرة مرحلية ، صاحبت نشوء الرأسمالية ، وتزول بزوالها . . و « ستالين » « خبير القوميات » عند الشيوعيين ، عرفها بأنها ظاهرة من ظواهر البورجوازية فى دور تطورها ، وأنها انعكاس لنهوض الرأسمالية ، وأن مآلها إلى الزوال عندما تسود الاشتراكية .

«لم تكن هناك أمم فى العهد السابق للرأسمالية » . . «البرورجوازية لكى تحرز نصرا كاملا فى ميدان الانتاج الصناعى ، وجب أن تكون لها أقاليم متحدة اتحادا سياسيا ، ويتكلم أهلها بلغة واحدة » . . « ان الدولة النموذجية للعصر الرأسمالى هى الدولة القومية » . .

إذن وبموجب هذه النظرية ، فإن القومية نشأت مع

الرأسمالية [1] ، والوطن = السوق . والحروب القومية هي في حقيقتها صراع بين الرأسماليات حول اقتسام العالم ، والاستعمار لا يمثل في الحقيقة استغلال بلد لبلد ، ولا قومية لقومية ، بل استغلال الطبقة الرأسمالية لعمال البلد المستعمر (بالكسر) وللأمة المستعمرة (بالفتح) ، والصراع الوطني الذي تقوده الرأسمالية في المستعمرات هو صراع بين الرأسمالية الاستعمارية والرأسمالية الوطنية . حول الاستئثار بسوق المستعمرة . .

فإذا زالت الرأسمالية زال بالتالي صراع القوميات[2] فلا تناقض بين العمال .. بل هم دوليون يسعون إلى قيام عالم لا تمزقه القوميات . . بل عالم تتآخى فيه البروليتاريات فلا تناقض بين البروليتاري الصيني والروسي أو الأمريكي . . ويمكن طبعا القول ولا بين العامل العربي والاسرائيلي !

ذلك أن التناقضات هي من افراز الرأسمالية وسمومها وتزول بزوالها .

كذلك لا يعقل ولا يتصور قيام علاقات استغلالية كتلك التي قامت بين

---

(١) فقبل نشوء الأمم ، أي قبل نشوء الرأسمالية واندثار الاقطاعية لم يكن هناك اضطهاد قومي ، إذ لم يكن هناك أمم وقوميات .

(خالد بكداش : طريق الاستقلال)

(٢) حقا ان الماركسية ترى أن القوميات ظاهرة مؤقتة في تاريخ البشرية . ستزول تدريجيا بزوال النظام الرأسمالي العالمي وتلاشي الطبقات وأجهزة الدولة . على أن هذه مرحلة تاريخية بعيدة (محمود أمين العالم . مقال : هل الماركسية تناهض القومية . مجلة الاداب ، بيروت)

الأمم فى ظل الاستعمار ، يوم كانت الرأسمالية تنهب شعوب المستعمرات عن طريق سرقة خاماتها وشرائها بثمن بخس يقل عن سعرها الحقيقى أو حتى العالمى نتيجة المركز الممتاز الذى تتمتع به داخل هذه المستعمرة ، وشل حريتها فى التعامل مع دول العالم . .

ولأن الاستعمار كان يعنى سيطرة الدول الصناعية على الدول غير الصناعية . فقد كان من صالح الدول الاستعمارية منع تصنيع الدول المتخلفة لأن ذلك يضمن تفوقها عليها ، وأيضاً إبقاءها سوقا لسلعها.. بل كان ذلك هو الهدف الرئيسى من الاستعمار . . احتكار الأسواق لبيع منتجات البلد الاستعمارى فيها وسلب خامات هذه المستعمرات . .

كل ذلك سيزول بمجرد ارتفاع راية الشيوعية، فلا طبقة مستغلة ، ولا نعرة قومية . . بل أخوة يساعد فيها الغنى الفقير ، وتأخذ الدول الصناعية المتقدمة بيد الدول الفقيرة المتخلفة ، وتساعدها على بناء صناعتها على أساس المساواة المطلقة ، وتحت ظلال الشيوعية لاسبيل لشبهة من تميز أو عدم مساواة .. ولا معنى للحديث عن تفضيل مصلحة قومية على أخرى .. وهل هناك قوميات ؟ !

اما نحن فننطلق من مفهوم مخالف تماماً . . اذ اننا نؤمن بأن الأمم هى الحقيقة الأزلية الباقية . . فنحن عرب[1] سواء قبل الرأسمالية أو فى ظلها ، أو فى الاشتراكية ، وما بعدها . .

---

(١) عربى ومسلم تؤديان نفس المعنى عندنا . ودون الوقوع فى تفصيليات وتعريفات .

ونعتقد ان النظم الاجتماعية والسياسية والآراء والنظريات ، ليست إلا أسلحة الأمم فى صراعها ..

وذلك ينطبق تماما على النظرية الماركسية ، فإن هذه النظرية بمجرد اعتناق الثورة الروسية لها ، واتخاذها فلسفة رسمية للدولة الروسية ، تحولت الى خدمة الأهداف الأزلية لهذه الدولة (١) . . ونفس الشىء حدث للصين . .

والصراع « الايدلوجى جدا » بين الصين وروسيا الآن . . هو فى حقيقته صراع القوميتين العملاقتين . . الصينية والروسية . .

المؤرخ البريطانى توينبى يفسر هذا الصراع بكل بساطة قائلا « انى لو كنت روسياً لشعرت بالقلق ، ليس بالنسبة للمستقبل القريب بالطبع ، ولكن بالنسبة للمستقبل البعيد فيما يتعلق بالعلاقات بالصين .. ويجب أن أشير إلى أنه فى حوالى عام ٢٠٠٠ سيكون الصينيون نصف سكان العالم تقريبا ، والصينيون شعب قادر شأنه شأن كل الشعوب ، وهو شعب مجد ككل الشعوب .

وخلال القرن من الضعف الذى مرت به الصين ، أخذت منها أقاليم ، وأخذت روسيا من الصين اكثر مما اخذ أى بلد آخر . وما زالت تضع

---

(١) بفضل النظرية الشيوعية ، فإن الامبراطورية الروسية فى ظل القيصرية تحولت بحجمها تقريبا إلى الاتحاد السوفيتى . . بينما زالت امبراطوريات العالم كلها تقريبا . . ولم تبدأ الحركات الاستقلالية والقومية فى آسيا السوفيتية إلا بعد الخلاف الروسى ـ الصينى وبفعل الجذب الصينى .

يدها على كثير مما اخذته ، واكثر مما تضع البلدان الأخرى يدها عليه حتى الآن . إن بريطانيا ما زالت تسيطر على « هونج كونج » والبرتغال تسيطر على « ما كاو » وتستطيع الصين ان تسترد هـــذه الأراضى فى لحظة لو اختارت ان تفعل ذلك . إنهما منطقتان صغيرتان . وامريكا مازالت تمنع « تايوان » من الاتحاد مع الصين القارية . ولـكن حتى تايوان لا تشكل إلا جزءا صغيرا نوعا من الميراث الصينى . ولـكن اذا نظرت الى خريطة الامبراطورية الصينية فى عام ١٨٥٠ مثلا ، فستجد أن جزءا كبيرا جدا من سيبيريا الشرقية بما فى ذلك فلاديفوستك . ليس ذلك فحسب بل ومناطق كبيرة إلى الشمال من نهر آرمور ، وكل منغوليا الخارجية التى تشكل نوعا من التابع لروسيا اليوم . كل ذلك كان جزءا من الامبراطورية الصينية فى ذلك الوقت ، كما ستلاحظ ان الحدود بين الصين وروسيا هى أطول حدود برية فى العالم .

ولقد لاحظت عام ١٩٢٩ ، اثناء سفرى من بكين الى آسيتين بالقطار ، أننا خرجنا من الصين ذات الـكثافة السكانية الـكبيرة ، بل ان منشوريا نفسها ، التى لم يكن بها الـكثير من الصينيين ، كانت كثافة السكان فيها كبيرة ، اذا ما قورنت بسيبيريا التى كانت بلدا خاويا ..

انك تسافر فى سيبيريا اميالا واميالا دون أن ترى قرية ، حينما يكون لديك مستويان من المياه ، المستوى فوق السد العالى ، والمستوى تحت السد ، فانك تستطيع توليد طاقة كبيرة جدا .. تفريغ كهربائى .. والآن فلو كنت أنا مكان الروس لانزعجت انزعاجا شديدا لذلك الموقف . . ولـكل هذه الاسباب ، أعتقد ان الروس على الأرجح سيتجهون بقدر كبير

ناحية الولايات المتحدة ، والشعوب الأوروبية ، الشعوب الغربية عموما»[1]

« ولوفيجارو » الفرنسية تقول فى افتتاحيتها : « ان الصين التى لن يمكن اغفال شأنها فى المستقبل القريب ، والتى سيصل عدد سكانها الى نحو مليار نسمة .. تسودها الآن نعرة قومية شديدة لم يشهد لها مثيل فى أى مكان على الاطلاق .. انها قضية الغرب كله »[2] .

توينبى استعمارى !! مؤرخ بورجوازى ! .. رغم معرفته الاكاديمية الواسعة ، فهى معرفة قاصرة وعاجزة ، لانها تستند للفهم البورجوازى .. ولو فهم الديالكتيك ، لما سقط فى التفسير البورجوازى ، وظن ان الكثافة السكانية ، او الخلافات القومية القديمة تبقى فى ظل الاشتراكية .. ولعرف ان الخلاف الحقيقى الذى يجعل روسيا تقترب من الولايات المتحدة ! هو خلاف حول ديكتاتورية البروليتاريا ! .. وهل هى ضرورية عند تحويل الولايات المتحدة الامريكية الى الاشتراكية .. أو يمكن التجاوز عنها ؟ !

هكذا سيقول الماركسيون .. وسيضيف بعضهم .. لم يبق إلا ان نستشهد من الفيجارو ؟ !

معكم حق !

لنسمع أصحاب الشأن انفسهم .. لنرى كيف تتلوى شعارات الدولية والقومية بين ايدى الروس والصينيين إلى ما يخدم المصالح القومية لكل منهم ..

---

(١) ندوة مع توينبى : مجلة الكاتب إبريل ١٩٦٥

(٢) ١٣ / ١ / ١٩٦٥

فهم دوليون بقدر ما يعنى ذلك اخضاع مصالح الآخرين القومية لمصلحتهم .. قوميون متعصبون[1] . . بقدر ما يخدم ذلك المصالح الروسية أو الصينية ..

ولنبدأ بنزاع الأرض :

التقى ماوتسى تونج بصحفيين يابانيين ، ودار الحديث حول الأراضى المنتزعة ، وسرعان ما اتفق الصينيون الشيوعيون والاشتراكيون اليابانيون حول الأرض التى انتزعتها روسيا من كل من الصين واليابان ..

وتحدث ماو باسم الدولية ، فأشار الى انعدام العدل فى توزيع السكان !

« ونظريته الحالية تهبط الى القول بان سكان الكرة الأرضية موزعون توزيعا غير مناسب واذن فالعدالة تطالب باعادة تقسيم العالم »[2] .

والكلام منطقى جدا . .

الشيوعية قد اخفت الحدود بين الدول الاشتراكية ، ووحدة المعسكر

---

(١) وكم أدهشنا تعميم الروسية فى الحياة العامة فى أوكرانيا فقد كانت الروسية لغة المسرح ، بل كانت هناك صحف يومية باللغة الروسية » جيلاس

« التقطت إذاعات من راديو بكين تخاطب الجنود الاوكرانيين : لماذا نقلوكم إلى المحيط الباسفيكى وعزلوكم بصورة خاصة فى جزيرة سخالين ؟ أنهم يرسلونكم بعيدا عن مساقط رؤوسكم بينما يعسكر الجنود الروس فى بلادكم انتبهوا . . انتبهوا . . إن موسكو تريد أن تحطم كل ماهو أوكرانى . انها تريد أن تذيب الجميع فى البوتقة الروسية حتى مالم يكن روسيا من قبل . » صوت العروبة ٢٢ /٤/ ٦٥

(٢) حديث ، مع الصحفيين اليابانيين (نشرة سوفيتية)

الاشتراكى وتضامنه تتنافى مع الصراع على الأرض .. اليس من عوامل ازدهار المعسكر الاشتراكى ورفاهيته أن ينتقل الصينيون بملايينهم التى لا نهاية لها ، الى المساحات الشاسعة فى سيبيريا التى لا يسكنها أحد . . فتزداد ثروة البلدين ، ويزدهر اقتصادهما ويتضاعف انتاجهما .. الا يكفى مزج سيبيريا بالطاقة البشرية الصينية الى انتاج قمح يكفى العالم كله لا المعسكر الاشتراكى وحده ؟ !

وما الفرق بين حرق البن ، والقاء القمح فى البحر واعادة الأراضى الزراعية الى غابات فى أمريكا .. وبين ابقاء سيبيريا قاحلة .. والرفاق الصينيون يتضورون جوعا على خط الحدود . ؟ !

بالمنطق « الأممى » .. نعم .. ولـكن من قال ان هذا المنطق هو الذى يضبط سلوك الدول ؟ !

افتتاحية البرافدا ١ ترد : « والطبيعة التضليلية لهذه النظرية واضحة للجميع فتوزيع السكان فى العالم نتيجة لتطور طويل متشابك يرجع الى ان الشعوب المختلفة تعيش فى ظروف مختلفة ، والشيوعيون يكافحون بالذات لـكى يحققوا حياة أحسن لجميع الشعوب ، وعند ما تنتصر الاشتراكية فى العالم أجمع (يعنى فى المشمش) وتصل القوى الانتاجية الى مستوى عال فى كل مكان . ستنتج عملية التقريب بين الأمم فى اختفاء تدريجى بين ظروف معيشة شعوب البلاد المختلفة وعندئذ ستفقد الحدود بين الدول أهميتها . وفى هذه الظروف سيصبح من الممـكن حل مسألة زيادة أو نقص

---

(١) نشرت بالقاهرة تحت اسم « ملحق المجلة السوفيتية : حول حديث ماوتسى تونج مع مجموعة من الاشتراكيين اليابانيين »

السكان فى العالم ، الا أن هذا أمر من أمور المستقبل ، وإثارة هذا الموضوع فى الوقت الحاضر ، فى الوقت الذى توجد فيه نظم اجتماعية متعارضة، والذى تجرى فيه عمليه تدعيم سيادة الدولة ـ أمرخطير للغاية .. ولـكن لا يجب أن ننسى أن التاريخ يعرف حالات كثيرة قامت فيها حروب اكثر رجعية بهدف توسيع «المجال الحيوى» ولهذا لا تعتبر افكار ماوتسى تونج عن « التوزيع غير العادل للاقليم العالمى » ليست جديدة ، فله سلف يمكنه ان يفتخر بهم »(١) .

اذن فالحدود قائمة لإبقاء الرفاهية فى الجانب الروسى والفاقة فى الجانب الصينى .. ولا تزول الا بزوال الفارق فى مستوى المعيشة (٢) . . خوفا من ان ياتهم يأجوج ومأجوج خيرات الاشتراكية على الجانب الآخر من السور !

الأشعريون اذن أفضل : «كانوا إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما عندهم فى ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم .. فهم منى وأنا منهم » صلوات الله عليك وسلامه !

تقول البرافدا : إننا نواجه برنامجا توسعيا صريحا ذا أهداف بعيدة (ليس خلافا أيدلوجيا اذن !) وهذا البرنامج لم يظهر اليوم أو بالأمس (البرافدا تتكلم) فنى عام ١٩٥٤ (أى قبل المؤتمر العشرين) صدر فى جمهورية الصين الشعبية ، كتاب يتضمن خريطة للصين تبينها كما كانت ، فى رأى مؤلفيه ، قبل حرب الأفيون الأولى .. وفى الحدود الشمالية

---

(١) ص ٢١ ـ ٢٢ من النشرة المذكورة

(٢) و ما أهمية زوالها عندئذ ؟ !

تسير بحذاء سلسلة جبال ستانو فواى ، التى تفصل أراضى الشرق الأقصى عن الاتحاد السوفيتى .. وفى الغرب أدخلت فى حدود الصين جزءا من قرغيزيا وتاجيكستان وكازاخستان (حتى بحيرة بالخاس) . كذلك ادعت أن سخالين جزء من الأراضى الصينية . وفى ذلك الوقت بدا أن نشر مثل هذه الكتب نتيجة للتهور أو النشاط الاستفزازى من جانب العناصر القومية . لكن الأحداث المتلاحقة دحضت هذا الافتراض (! !) فقد استمرت خرائط فى الصين الشعبيه تبين اجزاء مختلفة من الاتحاد السوفيتى وغيره من البلدان المجاورة للصين ضمن الأراضى الصينية .

وبدأ الممثلون الصينيون أخيرا يكررون الحديث عن مئات وآلاف من الكيلو مترات المربعة التى زعموا انها تنتمى إلى الصين [1] » .

وتنقل البرافدا عن المجلة الصينية « اليشى يانشو » (العدد الرابع ١٩٦٤) أن روسيا قد « استولت قسرا على اراض واسعة .. » .

« والآن أعلن ماوتسى تونج فى حديثه : منذ ما يقرب من مائة عام مضت (أى قرن الضعف الذى يتحدث عنه تويني) أصبحت المنطقة الواقعة شرق بيكال من أراضى روسيا ، ومنذ ذلك الحين أصبحت فلاديفوستك وخاباروفسك وكامشاتكا وغيرها من المناطق من أراضى الاتحاد السوفيتى ، ونحن لم نطالب بعد بتصفية حساب هذا الأمر ! » [2]

وتحذر البرافدا : « هل فكر أولئك الذين يتساءلون عن ملكية

---

(١) ص ١٢

(٢) ص ١٤

الاتحاد السوفيتى لأراض تبلغ مساحتها مليون ونصف مليون كيلو مترا مربعا .. فى كيفية رد فعل هذه المزاعم على الشعب السوفيتى الذى يعيش ويعمل على هـذه الأرض منذ أجيال عديدة ويعتبرها وطنه ، ووطن أجداده » .

اذن فليس الوطن هو السوق ! .. والأجداد هنا يذكرون .. ! « ان وجود دولة منغوليةمستقلة تحتفظ بعلاقات ودية مع الاتحاد السوفيتى وغيره من الدول الاشتراكية لا يسر الزعماء الصينيين . إنهم يريدون انتزاع استقلال منغوليا وجعلها اقليما صينيا . وقد عرض زعماء الصين الشعبية على ن. س. خرشوف وغيره من الرفاق السوفيت ، « الوصول إلى اتفاق » حول هـذا الموضوع أثناء زيارة الأخير لبـكين عام ١٩٥٤ . وبالطبع رفض ن . س . خرشوف مناقشة هذه المسألة ، وأبلغ الزعماء الصينيين أن مصير الشعب المنغولى لا يتقرر فى بكين أو فى موسكو بل فى اولان باتور » (١) .

إذن فمن الممكن ان ينتزع بلد اشتراكى (روسيا ما زالت تعترف بان الصين اشتراكية) سيادة بلد اشتراكى آخر ويجعله إقليما ضمن أراضيه ؟ ! وإذن فمن الممكن أن يطلب بلد اشتراكى مناقشة مصير شعب فى غير عاصمته ؟ !

ويقول ماوتسى تونج : « هناك عدة أماكن يحتلها الاتحاد السوفيتى تحت ستار اتفاقية يالتا (أى بعد تحولها إلى الاشتراكية وقبل تضخم

---

(١) ص ١٧

البورجوازية كما تزعم الصين الآن ، بل فى ظل ستالين الذى لا ترفضه الصين ، بل تعتبره بانى الاشتراكية فى روسيا واستاذها فى العالم كله بعد لنين) وبحجة حماية استقلال منغوليا ، يضع الاتحاد السوفيتى حاليا هـذا البلد تحت سيطرته ، ومنغوليا تشمل مساحة تفوق بكثير مساحة جزر كوريل ، وفى عام ١٩٥٤ عندما حضر خرشوف وبولجانين إلى الصين أثرنا هذه المسألة (يوم لم يكن ثمة خلاف حول ديكتاتورية البروليتاريا ولا عبادة الفرد ، ولا دور البورجوازية فى التحول الاشتراكى ولا اتفاقية حظر التجارب النووية .. إلخ) ولـكنهما رفضا الحديث معنا فيها ، كما ضموا إلى أملاكهم جزءا من ألمانيا الشرقية ، وفصلوا جزءا من بولندا ضموه الى روسيا ، وأعطوا لبولندا عوضا عنه جزءا من ألمانيا الشرقية (كلهـا دول شيوعية) وحدث نفس الشىء فى فنلندا ، لقد فصلوا كل ما يمكن فصله ، كما ادعى بعضهم بان سينـكيانج والأقاليم الواقعة غرب نهر آمور يجب أن تضم إلى الاتحاد السوفيتى ، كما يحشد الاتحاد السوفيتى الجيوش على حدوده . والاتحاد السوفيتى يحتل مساحة تبلغ ٢٢ مليون كيلو متر مربع بينما لا يزيد عدد سكانه عن ٢٠٠ مليون نسمة ، وحان الوقت لوقف هذا التناقض » ١ .

اذن فما وتسى تونج يرى انه من الممكن لدولة شيوعية أن « تضم وتفصل وتضع تحت سيطرتها » بلدانا أخرى بل واجزاء من بلدان شيوعية ! .

---

(١) ص ٢٩

ويمكن أن نرى كيف تخدم الماركسية المصالح الروسية ، من ذلك الاستشهاد الغريب من لنين :

ذلك ان الصين فى حربها ضد روسيا ترفع أعلام الماركسية اللينينية ، وبالتالى تلزم نفسها بالسمع والطاعة لكل ما قاله ماركس وانجلز ولنين .. وهى ، للنيل من زعماء الاتحاد السوفيتى المعاصرين ، تغالى فى تقديس لنين .. ولذا فقد عثر لهم الروس على نص لينينى يثبت ملكية روسيا لفيلا دفوستك !

قالت البرافدا : « لنين هو الذى قال : ان فلاديفوستك بعيدة . ولكنها مدينتنا » [1]

ويروى جيلاس [2] تفاصيل الصراع الروسى ـ اليوغوسلافى حول ألبانيا .. فى هذه المحادثة :

---

(١) البعيد يقرب للينين طبعا . . ولست أنمى أكثر من أن أعرف رد الصين على هذا النص . . وهل لديها عمرو بن العاص يخلصها منه . . (قتله الذين أخرجوه !) وهل ياترى تفتى النظرية فى الحدود ؟

(٢) ميلوفان جيلاس أحد أربعة قادوا انفصال يوغوسلافيا عن الكومنفورم كان وزيراً فرئيسا للبرلمان فنائبا للرئيس تيتو ، انضم للحزب الشيوعى عام ١٩٣٢ وسجن ثلاث سنوات . أصبح عضوا فى اللجنة المركزية وهو فى السابعة والعشرين وعضوا بالمكتب السياسى للحزب بعد عامين . قاد حركه المقاومة ضد الاحتلال الألمانى . وفى ١٩٤٤ رأس وفدا عسكريا إلى موسكو ، ثم اشترك فى أعمال الكومنفورم ١٩٤٧ ثم تفاوض مع روسيا ١٩٤٨ حول الخلافات الروسية ـ اليوغوسلافية . ألف كتاب « الطبقة الجديدة » أخطر كتاب فى تاريخ الشيوعية =

« وبعد التحيات الاعتيادية ، دخل ستالين فجأة فى صلب الموضوع فقال : « ان اعضاء اللجنة المركزية فى ألبانيا يقتتلون من أجلكم ، وهذا غير لائق .. » .

وبدأت اشرح له ، فقلت : كان «ناكو سبيرو » ضد ربط ألبانيا بيوغوسلافيا . وهكذا عزل نفسه داخل اللجنة المركزية . وهنا قاطعنى ستالين بقوله : « ليس لنا أية مصالح هامة فى ألبانيا . إننا نوافق على أن تبتلع يوغوسلافيا ألبانيا » ثم جمع اصابع يده اليمنى وادناها من فمه ، كأنما يريد ابتلاعها .

وكم كانت دهشتى عظيمة لهذا الأسلوب، الذى أعرب به ستالين عن أفكاره ، ولإشارة الابتلاع هذه ، ولست ادرى اذا كانت دهشتى قد ظهرت على وجهى . وقد حاولت أن أجعل من تصرفه هذا نكتة ، وان اعتبره تصرفا اعتاد عليه ، فتابعت كلامى قائلا : « ليست القضية قضية ابتلاع ، بل توحيد ! » (!!!)

وهنا قال مولوتوف : « لكن هذا ابتلاع ! » .

وأضاف ستالين قائلا ، وهو يستعمل الإشارة نفسها : نعم ! إنه ابتلاع ، ولكننا على وفاق معكم ؛ يجب أن تبتلعوا ألبانيا ، عاجلا لا آجلا . »

لقد عالجت موضوع التقارب من ألبانيا ، أو الاتحاد معها مدفوعا

= هاجم البيروقراطية اليوغوسلافية الجديدة فى ظل الشيوعية . . أقيل من اللجنة المركزية للحزب وسجن مرتين . ثلاث سنوات ثم أربع سنوات . . بعد كتابه محادثاتى مع ستالين سجن ٩ سنوات ابتداء من ابريل ٦٢ .

بدوافع ثورية . فقد كنت أعتبر ، مع معظم الآخرين ، أن الاتحاد ، بموافقة الزعماء الالبان التامة ، ليس فى صالح ألبانيا ويوغوسلافيا فحسب بل فى صالح النزاع القائم بين الصرب والألبان ، كانت أهمية الموضوع ، فى نظرى ، فى انه سيتيح دمج الاقليه الالبانية فى يوغوسلافيا بالالبان فى جمهورية مستقلة داخل الاتحاد اليوغوسلافى ـ الألبانى. كان كل حل آخر لمشكلة الاقلية الالبانية فى يوغوسلافيا ، حلا غير عملى، لاسيما أن سلخ جزء من الأراضى اليوغوسلافية التى تسكنها الاقلية الالبانية ، يؤدى إلى مقاومة شديدة داخل الحزب الشيوعى اليوغسلافى نفسه[1]

واخبرنى « كارديلج » نفسه ان السبب الحقيقى للخلاف مع موسكو هو الاتفاق الذى أبرم بين الحكومتين اليوغوسلافية والألبانية والذى يسمح بدخول فرقتين يوغوسلافيتين إلى ألبانيا . وكان قد تم تشكيل الفرقتين ، بينما كان سرب من الطائرات اليوغوسلافية المقاتلة فى طريقه إلى ألبانيا ، حين احتج الاتحاد السوفيتى بشدة »[2]

وروسيا تعترف أن العلاقة مع الصين لم تبدأ على أساس المساواة وتفسر ذلك بأنه من انحرافات ستالين .

« وقد وصل التعاون السوفيتى الصينى ذروته فيما بعد عام ١٩٥٣ عندما أزيلت عناصر عدم المساواة فى العلاقات بين بلدينا ، والتى فرضت

---

(١) تأمل !.. لحل مشكلة الأقلية الالبانية يقترح ضم البانيا كلها ليوغوسلافيا، لا ضم هذه الأقليه لألبانيا ! . . وقارن هذا بسخاء الشيوعيين العرب فى فصل الاقليات !

(٢) محادثاتى مع ستالين .

عبادة الشخصية الستالينية ، وقد أزيلت بدافع من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى والرفيق ن . س . خرشوف ، وقد قال ماوتسى تونج فى عام ١٩٥٧ : « ان الفضل يرجع إلى ن . س . خرشوف فى إزالة الأشياء غير اللائقة والخارجة فى المسألة الصينية »[١]

اذن فقد سادت العلاقات غير المتساوية بين البلدين ، سنوات ٤٩، ٥٠، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ . ! ! : لماذا ولمصلحة من؟ .. إذا كانت الطبقات المستغلة قد زالت من روسيا[٢] . . ؟

وهذا الحديث لايدور حول مركز ستالين الشخصى طبعا . . فما زالت الصين تعترف لستالين بهذه المكانة . . وإذا كان ستالين منحرفا ، فكيف أمكنه أن يدخل علاقات استغلالية على مجتمع غير استغلالى ، وهل يمكن أن يستغل بلد كالصين لمصلحة فرد واحد ؟ !

« وتدل الحقائق على أن الوطنية تكسب اليد الطولى فى السياسة الكلية للزعماء الصينيين ، وانها تصبح المصدر الأساسى لتصرفاتهم »[٣]

---

(١) قرار الاجتماع الشامل للحزب السوفيتى ص ٦٢ .

(٢) المجتمع الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى اليوم هو مجتمع الغيت فيه الطبقات المستغلة ، واستغلال الإنسان للانسان ، فليس فى الاتحاد السوفيتى كبار ملاك أو رأسماليين أو كولاك أو تجار . فلأول مرة فى تاريخ المدنية وجد مجتمع اشتراكى لا تقوم فيه سعادة البعض على شقاء الآخرين ، وليست فيه سيطرة أو تبعية ولا طبقات طفيلية ومجموعات تعيش على عمل الآخرين .
(طرق مختلفة للانتقال إلى الاشتراكية
ا . بوتينسكو)

(٣) ص ١٠٨

والصين بدورها تتهم روسيا بالقومية والتدخل فى الشئون الداخلية .

« ان قادة الحزب الشيوعى السوفياتى ، لايتورعون عن القيام بأى عمل فى سيرهم على سياسة عصبية الدولة الكبرى[1] . . لقد باشروا دائما الضغط السياسى والاقتصادى ، وحتى العسكرى على الاقطار الشقيقة .. »

« لقد دعا قادة الحزب الشيوعى السوفياتى علنا إلى الاطاحة بقادة الحزب والحكومة فى البانيا ، وقطعوا بفظاظة جميع العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية معها ، وحرموها كما يفعل الطغاة من حقوقها المشروعة بصفتها عضوا فى منظمة حلف وارسو ؛ ومجلس العون الاقتصادى المتبادل »[2] « إن مثل هذه الاعمال تسىء إلى العلاقات بين الدول بصورة خطيرة ، وهى نادرة الوقوع حتى بين الاقطار الرأسمالية »[3]

وتتهم الصين روسيا ، أكثر من مرة ، بالسعى إلى تقسيم العالم « فى محاولة فاشلة للسعى إلى السيطرة على العالم عن طريق التعاون الأمريكى السوفياتى »[4]

« خرب علنا قواعد العلاقات بين البلدان الشقيقة فاعتدى على استقلال وسيادة البلدان الشقيقة وتدخل بشكل كيفى فى الشئون الداخلية لهذه

---

(١) فى القاموس السياسى السوفيتى .. ان العصبية القومية للدولة الكبرى هى « السياسة الوطنية البورجوازية فى البلاد المسيطرة المستغلة والظالمة لغيرها من الشعوب »

(٢) قادة الحزب الشيوعى السوفياتى اكبر الانقساميين ص ١٩

(٣) ص ٢٠

(٤) ص ٧١

البلدان »[1] .

ويلخص جيلاس دور ستالين فى التاريخ بأنه حول « روسيا المتخلفة إلى دولة صناعية وامبراطورية يزداد طموحها ، باصرار وعناد للسيطرة على العالم »[2]

وحتى تكتمل الصورة . نرى الصين وروسيا تتبادلان المواقع عند الحديث حول النزاع الصينى الهندى ، على ما مساحته (١٢٥) ألف كيلو مترا مربعا . . هنا ترى روسيا نفسها فى موقف القاضى . . وتخفت لهجة الحديث عن وطن الآباء والأجداد . . وتتذرع بالمنطقى الأممى .

يقول خرشوف ، ماذا تعنى كيلو مترات ضئيلة : «لا حاجة بالشيوعيين إلى الاهتمام بمواقع الحدود . . وكيف تجرى » ! ! وهنا تنسى الصين منطق الدوليه الذى حاجت به روسيا فتقول . « وكم تساوى (١٢٥) ألفامن الكيلوامترات المربعة ؟ إنها اكبر من مجموع مساحة جمهوريتى أذربيجان وأرمينيا معا .ولنفرض أن قطرا رأسماليا أصر على احتلال هاتين الجمهوريتين من جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، فهل يعتبر القادة السوفيت هذا أيضاً ، من الأمور التى لا تستحق الاهتمام ؟ » « يدعى خرشوف أيضاً أن المناطق المتنازع عليها على الحدود الصينية الهندية ، قليلة السكان ، وليست ذات قيمة كبيرة للحياة الانسانية ولهذا لا تستحق أن ينظر إليها بعين الجد .

---

(١) لماذا سقط خرشوف افتتاحية مجلة العلم الأحمر ٢١ ، ٢٢ / ١٩٦٤ ص ٧

(٢) محادثاتى مع ستالين ص ١٨٤ .

ونحن لا تسعنا الموافقة على هذا أيضا . ومن يقول بأنه على القطر الاشتراكى أن يدافع فقط عن أجزائه المكتظة بالسكان ولا يدافع عن أجزائه التى يقل فيها السكان ؟ . . وفى الحقيقة فإن كثافة السكان فى المنطقة الواقعة فى القطاع الشرقى من الحدود الصينية الهندية هى بصورة عامة تشبه ما فى جمهورية تركمان السوفياتية . أما المنطقة الواقعة فى القطاع الغربى من الحدود الصينية الهندية فهى ليست مهجورة اكثر من المناطق المتجمدة الشاسعة فى الجزء الشمالى الشرقى ، من الاتحاد السوفياتى ، التى تواجه ولاية ألاسكا الاميريكية ،عبر البحر » . « ويدعى القادة السوفيت أيضا أنه لاحاجة بالشيوعيين إلى الاهتمام بموقع الحدود وكيف تجرى . . انهم لسوء الحظ ينسون أننا نعيش فى عالم فيه طبقات ودول[1] ، فى عالم ما زال به مستعمرون ورجعيون برجوازيون »[2]

وهكذا نرى أن « الأممية » ليست الا ستارا لخدمة المصالح القومية ولا عيب فى ذلك من جانب روسيا أو الصين ، بل العيب فى من يخضع مصلحة وطنه لمصلحة وطن آخر باسم الأممية .

لقد انطلق شعار « الأممية » كما رأينا مع الحركه الماركسية ، على أساس أن الاشتراكية ستذيب الحدود وانها دعوة لصعاليك العالم كى يتحدوا لتقوم الثورة الاشتراكية العالمية (آخر الحروب) وتطوح بالنظام الرأسمالى العالمى ! فلما قامت الاشتراكية فى وطن واحد هو روسيا ، كان

---

(١) راجع ص١٢١ من هذا الكتاب.

(٢) حقيقة تحالف قادة الحزب السوفياتى مع الهند ضد الصين ـ بكين ـ ص ١٠ ـ ١٣ .

من الطبيعى ان تخدم الأممية مصالح هذا الوطن . . خدمته فى الداخل بإخفاء التناقضات القومية بين روسيا والشعوب غير الروسية التى كانت تخضع للقومية الروسية فى الامبراطورية القيصرية . .

وخدمت الأممية ، أيضا ، الاتحاد السوفياتى ، على النطاق العالمى ، باحاطته بدائرة من العاطفيين والمؤمنين المتحمسين فى جميع دول العالم الرأسمالى . . الأحزاب الشيوعية والملتفون حول الأحزاب الشيوعية ، لم يكونوا عملاء بالمعنى القديم لهذه الكلمة ، ولكن مؤمنين متحمسين للاتحاد السوفياتى ، قلعة الاشتراكية وحصن الطبقة العاملة والدولة التى تجرى فيها اكبر تجربة واخطرها فى تاريخ الجنس البشرى ، وتتآمر عليها قوى الشر فى العالم كله .

« كان الفرح يملأ كيانى وأنا أتصور اقتراب موعد لقائى بالاتحاد السوفياتى ، والأرض الأولى فى التاريخ ـ كما كنت اومن إيمانا أقوى من الصخر ـ التى تجسد فيها حلم الطامحين وعزم الأبطال وآلام الشهداء . وقد خطر لى أن أقبل الأرض الروسية »[1] .

ومن الطبيعى أن يكون واجب الشيوعى المخلص هو الذود عن هذه القلعة .. وكان ديمتروف سكرتير الحزب الشيوعى البلغارى ، وسكرتير الدولية الثالثة أو الكومنترن .. يقول : « ان محك صدق الشيوعى هو موقفه من الاتحاد السوفيتى » .

وقال ديمتروف فى المؤتمر السابع للكومنترن ١٩٣٥ :

« إن العاطفة القومية خليقة بالتشجيع مادامت موجهة ضد « بقايا

---

(١) جيلاس . الشيوعى اليوغوسلافى .

«الإقطاع» أو ضد «البورجوازية القومية» غير أنه تجب مقاومتها بمجرد اصطدامها بالحركة الشيوعية أو بالاتحاد السوفيتى» !

وستالين الابن البكر لبطرس الأكبر يعرف الرجل الدولى بأنه «الذى يظهر استعدادا لأن يقوم بلا تحفظ، ولا تردد، وبدون شروط ما بالدفاع عن الاتحاد السوفيتى لأنه قاعدة الحركة الثورية العالمية»[1].

ولانظن أن دولة من الدول قد وفقت إلى نظرية أممية متحيزة على هذا النحو الفاضح، إلى جانبها ! . .

ونصت لائحة الكومنترن على أنه: «بالنظر لأن الاتحاد السوفيتى هو الوطن الوحيد للبروليتاريات الدولية، فإنه يجب على هذه أن تسهل من جانبها نجاح أعمال البناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى، وأن تحميه من هجمات العالم الرأسمالى بجميع ماليها من وسائل».

إلا أن انفراد الاتحاد السوفيتى بوضع الدولة الاشتراكية الوحيدة فى العالم، إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، قد خفف من حدة التناقض بين المصلحة القومية للشيوعى، والمصلحة الدولية، أى مصلحة حصن الاشتراكية وقلعة الشغيلة .. أى روسيا[2] . . إذ لم تكن الأحزاب الشيوعية فى السلطة، وبالتالى لم يكن بوسعهم التضحية بمصلحة قومية أساسية، أو الاصطدام على المستوى القومى .. مما جعل هذا المبدأ ينحصر فى الخدمات

---

(١) الموقف الدولى والدفاع عن الاتحاد السوفيتى: ستالين ١٩٢٧ .

(٢) انى احمل فى ذاكرتى دائما ان ستالين استعمل كلمة روسيا . . لا الاتحاد السوفيتى . وهذا معناه أنه لم يكن موحيا للقومية الروسية فقط، بل كان هو أيضا يستوحيها، ويمتن روابطه بها . » جيلاس .

الفردية[1] .. أو فى جرجرة الأحزاب الشيوعية خلف التطورات السياسية فى روسيا ، والتى تمليها مصالحها كدولة ، واضطرارها إلى المناورة .. بالإقدام أو التراجع ..

فالحزب الشيوعى الفرنسى ، يعارض الحرب فى البداية لأنها حرب استعمارية ، ثم تنقلب إلى حرب وطنيـة تحريرية لا بغزو ألمانيا لوطنه فرنسا ، بل باشتراك الاتحاد السوفيتى فيها !

وكلنا نذكر الإذلال الستالينى للأحزاب الشيوعية فى غرب أوربا عندما أجبرها على إصدار إقرار بأنها ستقاتل إلى جانب الاتحاد السوفيتى إذا ما اشتركت أوطانهم فى الحرب ضده[2]

لقد كان شعار الدولية ، كما رأينا ، ضروريا جدا ، لحماية الاتحاد السوفيتى .. وفى نفس الوقت كانت التربية القومية فى الداخل تعمل على دعم الاعتزاز الروسى . حتى أن فتوحات القيصر فى آسيا السوفيتية وجدت لها التبرير المطلوب ، إذ أن هذا الاستعمار قد أنقذها من الوقوع فى يد الرجعية التركية والإيرانية ! وأتاح لها فرصة التنعم بالاشتراكية .. وهكذا « عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » ! .

وجرت حركة اعتزاز بالتراث الروسى كله .. بل حتى بالجبال ! فقد

---

(١) « ان الشيوعيين هم الذين كانوا القاعدة والوسيلة اللذين كان الاتحاد السوفيتى يستخدمهما لتثبيت نفوذه فى بلدان أوربا الشرقية ، وكم داخلنى الرعب من تلك الذرائع التى كان يتوسلها الاتحاد السوفيتى » جيلاس .

(٢) من المضحك أن الحزب الشيوعى المصرى (تنظيم الراية) أصدر بيانا فى ذلك الوقت يعلن فيه انه سيقاتل إلى جانب الاتحاد السوفيتى !

انتقد احترام العلوم الغربية . « حتى أن « نابليون » و« بايرون » قد رفعت مرتبتها فوق قواد وشعراء من الروس يفوقونهما بمراحل ، كما أن الأطفال كانوا يلقنون أن أعلى جبل فى أوربا هو « مونت بلاك » فى حين أنه فى الحقيقة جبل « البروز » فى القوقاز » (! !)

ثم كان أن ظهرت الشقيقات الشيوعيات ، فانهار شعار الأممية .. عندما وصل الشيوعيون إلى السلطة فى ١٢ بلدا .. اصطدمت المصالح .. وتعارضت القوميات ، وكان لابد أن يتشقق الطلاء الأممى يوما ما ، ليكشف عن الصراع والتناقضات من تحته ..

واستطاع ستالين بديكتاتوريته وقدسيته أن يؤجل العملية حينا من الوقت ١ .. حتى أن انشقاق يوغوسلافيا بدا لأعين الكثيرين ، انحرافا تيتويا ، وصدق الشيوعيون فى العالم كله أن تيتو باع يوغوسلافيا لأمريكا .. حتى خصوم الشيوعية فسروها بأنها ضربة بارعة للمخابرات البريطانية !

لم يكن ثمة من يصدق أنه فى ظل الشيوعية توجد سيطرة أمة ، واستغلال دولة اشتراكية لدولة اشتراكية أخرى ..

كان لابد من تحطيم الأسطورة الستالينية ، حتى يبدأ الناس فى التفكير ..

---

(١) إن ستالين لم يكن فقط الزعيم العبقرى الذى لا يعارض وإنما كان التجسيد الفعلى لافكار المجتمع الجديد وأحلامه ، هذا التأليه لشخصية ستالين ، ولكل شىء تقريبا فى الاتحاد السوفياتى ، اتخذ مظاهر غير واقعية . فقد كان كل عمل تقوم به الحكومة السوفياتية ـ الهجوم على فنلندا مثلا ـ وكل المظاهر السلبية فى الاتحاد السوفيتى ـ المحاكمات والتطهير مثلا ـ تلاقى كل تبرير ودفاع . وما بدا أكثر غرابة ان الشيوعيين نجحوا فى اقناع أنفسهم بصحة وسلامة هذه الأعمال وفى إزالة جميع آثار الوقائع الصحيحة وغير المرضية من تفكيرهم . (جيلاس)

وقد تكفلت بتحطيم هذه الأسطورة عملية الصراع على السلطة فى الكرملين بعد وفاة ستالين ، وعرف الناس أنه من الممكن أن يصدر عن قدس الأقداس الشيوعى ، أحط الجرائم وأكثرها بشاعة ورعبا . .

وكان لابد أن يشق عصا الطاعة حزب شيوعى لا سبيل إلى اتهامه بالعمل لحساب المخابرات الاستعمارية ، ولا مجال للتشكيك فى تفهمه للماركسية ، ولاسبيل للطعن فى عبقرية قادته وعظم النصر الذى أحرزوه . .

جاء انشقاق الصين ، فانهارت وإلى الأبد وحدة الكنيسة الشيوعية . . مات البابا . . وانشق مجمع الكرادلة . . وتداولت الأيدى الأسرار المقدسة وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه . . وتبين الناس أن التاريخ البشرى لم يغير مساره إكراما لماركس ! . . ومازلنا بعيدا جدا عن مرحلة الأحلام ، حيث السلام الأبدى ، والأخوة الدائمة فى ظل « طبقة واحدة وكنيسة واحدة » . .

تبين أنه ـ كما يقول جيلاس ـ « أن الصراع سيغدو مريرا إذا ماخضع الناس لنظام اجتماعى واحد »[1]

لقد ثبت أن المصالح القومية باقية ، وأن فكرة الأممية قد استغلت لخدمة هذه المصالح ، ومادامت الأمم متمايزه ، فإن إمكانية استغلال أمم أخرى قائمة . . وإذا كانت الرأسمالية قد استعمرت واستغلت من أجل أرباحها هى ، وأيضاً من خلال هذا الاستغلال قد رفعت مستوى معيشة

---

(١) يبدو فعلا ـ ولو انى لم أتوقف طويلا لدراسة هذا الرأى ـ أن التعايش السلمى اكثر إمكانيه بين النظم الاجتماعية والفكرية المختلفة منه بين النظم المتشابهة .

شعوبها وقوت المركز الدولى لبلادها .. فليس مستحيلا أن تقبل الدولة الشيوعية استغلال أمم أخرى لنفس الأهداف باستثناء ربح الطبقة الرأسمالية ١ .. فهل ترفض البروليتاريا التشيكية مثلا .. إقامة علاقات اقتصادية ممتازة مع شعوب أخرى لحساب الشعب التشيكى والوطن التشيكى ولو على حساب الشعوب الأخرى ؟

لماذا ؟

ماهى الحجة المادية ضد هذا الاحتمال ؟ .. لاشىء !

ان العبرة التى يجب ان نخرج بها من انهيار الأممية الشيوعية هى ان قوانين ماركس قد تكون صادقة ولكن نبوءاته باليقين فاسدة . .

ومع ذلك فلنترك المطبوعات الشيوعية ، تكمل لنا رسم الصورة . . فمادامت المصالح القومية باقية ، فلاشك أن العلاقات الاقتصادية تعكس هذه المصالح . .

يقول جيلاس :

« ومع أننا لم نكن الاعابرين فى رومانيا . فقد وجدنا سببا للانتقاد فى كل مكان . فهنالك ، أول الأمر ، العلاقات القائمة بين الاتحاد السوفياتى وبلدان أوروبا الشرقية ، كانت ماتزال تحت الاحتلال الفعلى وثرواتها تبتز منها بشتى الوسائل ، لاسيما عن طريق الشركات المتحدة الأسهم التى كاد الروس أن لايساهموا بنصيبهم من تمويلها إلا بالرأسمال الألمانى ، الذى أعلنوا ببساطه ، أنه من غنائم الحرب . أما التجارة مع هذه البلدان ،

---

(١) ودعنا الآن من حديث الطبقة الجديدة . .

فلم تكن تجرى ، كما تجرى عليه فى بقية أنحاء العالم . ذلك أنها كانت تقوم على أسس اتفاقات خاصة تشترى بموجبها الحكومة السوفياتية بأقل، وتبيع أعلى ، مما هى الأسعار العالمية » [1].

ولكن « جيلاس » حديث قديم . . . وهو على أية حال لا يشغل الآن مركزا شيوعيا ، بل سجين . . . فلنسمع رأى شيوعيين معترف بهم .

لنسمع كوريا الشمالية :

نشرت صحيفة « رودنج شنمون » لسان حال اللجنة المركزية لحزب العمال الكوريين (الحزب الشيوعى) فى ٧ سبتمبر ١٩٦٤ بيانا ترد فيه على تعليق البرافدا على « الندوة الأسيوية الاقتصادية » جاء فيه : « أليس من الأفضل عند حديثكم عن المساعدات السوفيتية لنا ، ان تذكروا أيضا انكم بعتم لنا معدات بأسعار أعلى بكثير من اسعار السوق العالمية ، وأخذتم منا أطنان الذهب والخامات بأسعار أقل كثيرا من الأسعار العالمية »[2] .

« ويتطاول الصينيون فى محاولتهم لمحو ذكرى المساعدة السوفيتية ! فيدعون أن الاتحاد السوفيتى قام بتسليم معدات قديمة للصين »[3]

وقد اشار جيفارا الشيوعى الكوبى بالتجنس ، إلى المزايا التى تحققها

---

(١) محادثاتى مع ستالين ص ١٣٥

(٢) نقلا عن بكين ريفيو عدد ٣٨

(٣) قرار الاجتماع الشامل ص ٦٦

دول شرق أوروبا من الاتجار بالأسعار العالمية ، هذه الاسعار التى تفرضها الاحتكارات الاستعمارية على أسواق العالم ، فتجعل نسبة التبادل بين الخامات والمواد المصنعة لصالح الدول الصناعية المتقدمة . . وبذلك يتحقق لها استغلال الدول المتخلفة المنتجة للخامات والمستهلكة للمصنوعات .

قال «جيفارا» وزير الصناعة فى حكومة كوبا (الماركسية ـ اللنينية) :

« كذلك يفرض النظام الرأسمالى ، التبادل غير المتساوى بين البلدان المختلفة . . مثلا ، مع الوقت تنخفض باستمرار أسعار المواد الأولية بالنسبة إلى السلع المنتجة . وهكذا يحدث أن البلدان الاشتراكية عندما تشترى المواد الخام بأسعار السوق العالمى . . ويبيعون السلع المنتجة أيضاً بهذه الأسعار . . وهذا هو الذى يحدث بالفعل وعلى الرغم من أن بعض بلدان أوربا الشرقية تنفى هذه الحقيقة . وهذا الإنكار ليس إلا لمصلحتهم الذاتية . قلنا إنهم يستفيدون من فائض القيمة الذى تفرضه الاحتكارات العالمية . . وهذا وضع لايجوز[1] » .

وهكذا نرى أن ظهور دول اشتراكية ، لم يؤد إلى تحطيم السعر العالمى الاحتكارى ، الذى يستغل الدول المتخلفة . . بل قبلت الدول الاشتراكية التعامل بهذه الأسعار محققة بذلك نفعا اقتصاديا ، ولو على حساب الشعوب الأخرى . . ولم يقتصر الأمر على العلاقة بين الدول الاشتراكية وغير الاشتراكية ، وإنما بين الدول الاشتراكية ذاتها .. وإذا صدقنا الصين وكوريا الشمالية ورومانيا والبانيا ويوغوسلافيا . نجد أن معدل الاستغلال اكبر بين الدول الاشتراكية فى تعاملها مع بعضها البعض ،

---

(١) مجلة الطليعة : أبريل ١٩٦٥

حيث يؤدى اختفاء عامل المنافسة الحرة الموجود فى السوق العالمية إلى تمتع الدولة الصناعية الاشتراكية بمميزات احتكارية فى سوق شقيقتها الدولة الاشتراكية المتخلفة .. والنتيجة هى «بيع بأسعار أعلى من السوق العالمية، وشراء بأسعار أقل» أى استغلال الدول الاشتراكية المتقدمة للدول الاشتراكية المتخلفة .. وبأكثر مما يمكنها استغلال الدول غير الاشتراكية ..

ومن الطبيعى أن تكون الخطوة التالية لهذه السياسة هى حرص الدول الصناعية الاشتراكية على ابقاء عامل التفوق هذا . . وذلك بمنع تصنيع الدول الاشتراكية المتخلفة ..

فهل حدث هذا ؟ . .

وفقا لقوانين المادية الجدلية لا بد أن يحدث ..

فهل صدقت قوانين ماركس ؟ !

تقول الصين عن خرشوف انه : «باسم «المساعدة الاقتصادية المتبادلة» المزعومة ، عارض تطوير البلدان الشقيقة ، لاقتصادها تطويرا مستقلا ، وأرغمها على أن تصبح موردا للمواد الخام ، وأسواقا للسلع . محاولا أن يجعل صناعات البلدان الشقيقة صناعات تابعة ، وكان يتبجح بأن كل ذلك نظريات ومبادىء من اختراعه ، بينما هى فى الواقع شريعة الغاب للعالم الرأسمالى ، يطبقها فى العلاقات بين البلدان الاشتراكية ، متخذا السوق المشتركة لكتل الرأسمال الاحتكارى قدوة يحتذيها[1]» .

ويبدو أن خلافا حادا يدور اليوم داخل الدوائر الشيوعية حول

---

(١) « لماذا سقط خرشوف » افتتاحية مجلة العلم الاحمر الصينية .

المعونة الاقتصادية ، والوحدة الاقتصادية ، والتخصص الاقتصادى . . فانطلاقا من الأممية ، والأخوة الشيوعية ، ووحدة المعسكر الاشتراكى ، يرى الاتحاد السوفيتى أن تقسيم العمل على نطاق المعسكر الاشتراكى ، والأخذ بنظام التخصص بين دول هذا المعسكر . هو السبيل للرخاء المشترك . . فلا معنى لأن تصر دولة منتجة للحاصلات الزراعية ، وتتمتع بمزايا طبيعية فى الثروات المعدنية والمواد الخام ، لامعنى لإصرارها على التصنيع وبناء الصناعات الثقيلة . . إذ أن ذلك يعنى نقص كفايتها الزراعية ، ويؤدى كذلك إلى ارتفاع أسعار مصنوعاتها وعجزها عن المنافسة مع الاقطار الرأسمالية .. ثم إلى تكرار التجربة المريرة التى مرت بها روسيا فى عصر ستالين ، عندما اقتضى التصميم على التصنيع ، اعتصار عدة اجيال ،وفرض ارهاب وحشى لتحويل المجتمع إلى ماكينة من بشر وحديد ، تنجز خطط الدولة .. مما كلف الاشتراكيه خسارة أدبية فى سمعتها لدى الشعوب لايعوضها ماحققته من نجاح فى التكنولوجيا ..

ويرى الاتحاد السوفيتى أن قيام الصناعة السوفيتية مع عدد من الدول المتقدمة صناعيا قبل الاشتراكية .. (تشيكوسلوفاكيا — ألمانيا الشرقية — بولندا . . .) قد خفف عن الشقيقات هذا العبء ، وأعفاها من أن تخوض الطريق الوعر الذى خاضته الشقيقه الكبرى .. إذ يمكنها الاعتماد على معونة الاتحاد السوفيتى فى رفع مستوى معيشتها ، ويمكنها أن تتخصص فيما يسرته لها الطبيعة ، وتطورها التاريخى ، ولا ضير من ان تنقسم الدول الاشتراكية إلى مجموعتين : واحدة تتخصص فى تصدير السلع الصناعية واستيراد الخامات واخرى تتخصص فى انتاج الخامات واستهلاك مصنوعات الدول الشقيقة المتقدمة .. بذلك تسير عجلة التقدم الاقتصادى

للمعسكر كـكل فى مواجهة منافسة المعسكر الرأسمالى . اذ ان الصناعة فى هذه الحاله ، لن تقام لاعتبارات وطنية ، بل للاعتبار الاقتصادى وحده ، فلا معنى لإصرار رومانيا على قيام صناعات بتروكيمائية فيها لمجرد أن عندها البترول ! . . إن أمام رومانيا سنوات عديدة قبل أن تقوى على منافسة الغرب فى هذا الميدان ولـكن تصدير بترول رومانيا[1] إلى روسيا الأكثر تقدماً فى الصناعات الـكيماوية سيتيح « للأسرة فى مجموعها » أن تتقدم فى ميدان المنافسة الاقتصادية ، الذى هو ميدان المعركة الحاسمة فى النضال من اجل الشيوعيه[2] .

فعلى الدول الشيوعية المتخلفة أن تعتمد على معونة الاتحاد السوفيتى فى تطوير اقتصادياتها ، وعلى نظام التخصص الصناعى لتحقيق أكبر استفادة من إمكانياتها الطبيعية .

ولـكن رومانيا (وبالطبع الدول الشيوعية الاسيوية) رفضت هذا المنطق . . رفضت نصيحة « الـكوميكون » (السوق المشتركة الشيوعية) بالتخصص فى الزراعة واستخراج البترول ! واتجهت إلى الغرب . ومن « جدلية » التاريخ أو إن شئت قل سخريه التاريخ ، أن مصنع منتجات البترول ستبنيه لها الولايات المتحدة ، إلى جانب مصنع للاطارات ، تم الاتفاق عليها بين البلدين .. نفس الولايات المتحدة التى ترفض أن تقيم مثل هذا المصنع فى ليبيا مثلا .. ولا تتردد روسيا فى إقامته .. ولـكن .. فى ليبيا !

---

(١) رومانيا تنتج ١٢ مليون طن سنويا من البترول . .
(٢) الشئون الدولية (روسية) عدد ٩ / ١٩٦٤ .

ونظرية تقسيم العمل والتخصص الاقتصادى ، ليست نظرية سوفيتية بالطبع ، بل نادى بها الاقتصاديون الرأسماليون منذ سنوات عديدة سابقة على ظهور ماركس(١) . بل كانوا يعتبرونها الوضع الطبيعى الذى تتمخض عنه السوق العالمية ، ويعتبرون ان اى محاولة لمعارضته ، خرق لقوانين الطبيعة لاتجلب الا المتاعب والخسائر ..

ولكن .. هذا القانون كان يغرى دائما بخرقه ، لأن الخضوع له يعنى قبول استغلال الدولة الأكثر تقدما فى الصناعة . ذلك ان الاستغلال على النطاق العالمى يكمن كما قلنا فى ان معدل التبادل بين السلع المصنوعة والخامات غير عادل .. ولا حقيقى ولا ثابت .. بل هو فى صالح الدول الصناعية ، وينهار باستمرار لصالحها . . كذلك فإن الحرب الحديثة هى حرب صناعية ، ومن ثم فإن الدولة غير الصناعية ، انما تخاطر باستقلالها ، وتجعل من نفسها لقمة سائغة تغرى دائما بالابتلاع . .

وصحيح أن هذه الاحتمالات لاوجود لها فى ظل العلاقات الاشتراكية الوردية التى رسمها الشيوعيون أيام ماركس ، وفى ظل الدولة الاشتراكية الوحيدة .. ولكنها انقلبت إلى حقيقة مروعة بعد طرحها فى ميدان التطبيق العملى بين الدول الاشتراكية ..

فاللجنة المركزية للحزب الشيوعى الحاكم فى كوريا الشمالية ترى ، وتؤيدها فى ذلك الصين إذ تترجم لها وتنشر :

« بعض الناس من « البلد الاشتراكى الأكثر تقدما » قد أزروا

---

(١) وما حيلتنا إن كانت الصين تشاركنا هذ الرأى ! !

بالبلاد الاشتراكية ، لأنهم عصفوا بالمبادىء الأممية فى التعاون الاقتصادى والمعونة .. وما أكثر الحوادث العديدة التى يعرفها العالم عن هذا الأمر »(١)

أما عن معونة الدول الاشتراكية المتقدمة لشقيقاتها المتخلفة فتقول بكين ريفيو : وتفنيداً لادعاءات البرافدا حول الاعتماد على التعاون الاقتصادى بين الدول الاشتراكية ، ومعونة الدول الاشتراكية الأكثر تقدما .. فيقول بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الكورى .. (الشمالية) : «ان هذا التحليل يهدف إلى الترويج لفكرة الاعتماد على الآخرين والعيش على حسناتهم، وربط مصير الأمة الاقتصادى «بدولة اشتراكية أكثر تقدما».

وتقول قيادة الحزب الشيوعى الكورى : « إن أحدا لم ينكر أن المعونة غير الأنانية تساعد على تنمية اقتصاديات الدول الحديثة الاستقلال .. ولكن « البرافدا » تحاول إغراء الشعوب بإمكانية العيش عن طريق الارتباط بمعونة الآخرين وحدها .. »

وتتساءل اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الكورى : « أين هو البلد الذى يمكنه إزالة الفقر والتخلف .. أو أين هو البلد الذى تمكن من إزالة الفقر والتخلف معتمداً على معونة « الدولة الاشتراكية الأكثر تقدما » . ؟ وهل هناك مثال واحد لدولة اشتراكية أكثر تقدماً عالت دولة متخلفة أو ساعدتها فى بناء اقتصادها الوطنى » .

الذى يسأل اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الكورى فى مقالها المنشور بصحيفة « رودونج شنمون » وترجمته ونشرته صحيفة بكين

---

(١) بكين ريفيو ٣٨ .

ريفيو الصينية ١ .

وتقول : « تحاول البرافدا أن تعطى انطباعا بأن الدعوة إلى الاعتماد على النفس فى بناء اقتصاد وطنى مستقل ، دعوة تتعارض مع تدعيم وتوسيع التعاون الاقتصادى بين الدول المتحررة ، والدول الاشتراكية .. وتدعى البرافدا ، أن الندوة فشلت فى ذكر مثال واحد لإهدار مبادىء التعاون الاقتصادى بين الدول المستقلة من جانب الدولة الاشتراكية الأكثر تقدما . . لأن مثل هذا الأمر لا وجود له . . أحقا (يرد الحزب الكورى) لا يوجد مثال لذلك ؟ قال مندوب فى الندوة ، إنه بعد تلقى مساعدات من « الدولة الاشتراكية الأكثر تقدما » قد نهبت بلاده ، وتدخل فى شئونها الداخلية ، وواجهت نشاطا تخريبيا »٢ .

ومن الطبيعى فى مثل هذه الظروف أن تكون الخلافات الأيدلوجية فرصة طيبة للتحرر من الارتباط الاقتصادى . . فيقول تقرير الاجتماع الشامل للحزب الشيوعى الروسى .

« ولقد تدهورت العلاقات السوفيتية — الصينية بصورة ملحوظة بعد أن ذهب زعماء الحزب الشيوعى الصينى إلى أبعد من التصرفات غير الودية ، إلى التعويق الحاد للعلاقات الاقتصادية والثقافية مع الاتحاد السوفيتى وغيره من الدول الاشتراكية .. وأنقصت إلى الحد الأدنى حجم التجارة

---

(١) الندوة الاسيوية الاقتصادية الثانية المنعقده فى بيونجيانج (يونيه ١٩٦٤) .

(٢) بكين ريفيو العدد ٣٨ ص ٢٥ .

السوفيتية — الصينية . فهبطت فى عام ١٩٦٣ إلى ٣٦,٥ ٪ عما كانت عليه فى عام ١١٩٥٩ .

« وتقطع العلاقات الاقتصادية مع الدول الاشتراكية وخاصة مع دول الكوميسون والاتحاد السوفيتى وفى عام ١٩٦٢ انخفضت تجارة جمهورية الصين الشعبية بنسبة ٦٥ ٪ بالمقارنة بما كانت عليه عام ١٩٥٩ ، كما انخفضت فى عام ١٩٦٣ بنسبة ٢٠ ٪ علاوة على ذلك . . »[٢]

ويتهم نفس التقرير الصين بأنها جعلت حياة الخبراء السوفيت غير ممكنة فى الصين ، بينما ترد الصين بأن الروس « قرروا من جانب واحد سحب (١٣٩٠) خبيرا سوفيتيا ، كانوا يعملون فى الصين ، ومزقوا ٣٤٣ عقدا وعقدا إضافيا حول استخدام الخبراء ، وألغوا ٢٥٧ مشروعا للتعاون العلمى والتكنيكى ، وباشروا سياسة الحجر والتمييز فى التجارة ضد الصين »[٣] .

وهكذا نرى أن مظاهر الصراع الاقتصادى التى عرفها التاريخ البشرى منذ انقسام العالم إلى دول ، هذه المظاهر مازالت تحكم العلاقات بين الدول الشيوعية ، وما يعقب هذا الصراع من آثار وأساليب ، ومن محاولة للسيطرة السياسية ، وحوادث للحدود ، وشراء للعملاء ، والتخريب والتجسس .

---

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ٦٥ .

(٢) ص ٢٢ .

(٣) قادة الحزب السوفياتى اكبر الانقساميين ص٢٠ .

فروسيا تتهم الصين بأنها ، تحاول أن تحل الدعوة من أجل فصل الشعوب الشرقية على أسس قومية أو حتى عنصرية ، محل المبدأ اللنينى بشأن توحيد القوى المعادية للاستعمار فى كل الدول والقارات . . « إنها تحاول بوضوح أن تسيطر على الكفاح التحررى القومى ، لتجعل منه أداة لتنفيذ خططها القيادية ، واخضاعها ، وفقا لاهدافهم الخاصة ، ويصورون أنفسهم بأنهم المدافعون الوحيدون عن آمال هذه الشعوب . وإذا كان لزاما علينا أن نوضح الخطة التى تكمن خلف الشعار الصينى ونشرح الهدف البعيد لقادة الحزب الشيوعى الصينى ، فاننا نقول هكذا (روسيا تقول) ان الصين بالنسبة لهم أكبر دولة فى الشرق وهى التى تجسد آمال الشرق ، وهنا تظهر ، رياح التاريخ ، التى يجب ان تسيطر على « الرياح القادمة من الغرب » وبعبارة اخرى نقول ، ان هذا الشعار لايعدو أن يكون تعبيرا أيدلوجيا وسياسيا لآمال القيادة الصينية المتسلطة »[١] .

وترد الصين متهمة روسيا بانها « تحلم بالسيطرة على الكرة الارضية بالتواطؤ مع الاستعمار الأمريكى[٢] .

وأن الاتحاد السوفيتى « ظل يشترى شيوعيين مبرجزين خانوا الماركسية اللنينية فى الحركة الشيوعية العالمية » ٣

ويتهم الحزب الشيوعى اليابانى السفارة الروسية بالعمل ضده فى

---

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ٥٥ . . ضع كلمة روسيا مكان الصين والشيوعية مكان الشرق تعرف رأى الصين فى دعوة زعامة روسيا للمعسكر الشيوعى .

(٢) سياستان للتعايش السلمى صحيفة جينمين جيباو .

اليابان : « لقد بدأتم تنظمون عملا معاديا للحزب . . خلال محادثاتكم مع حزبنا في موسكو في مارس الماضي ، أقمتم صلات وثيقة مع «يوشيوشيجا» وآخرين عن طريق السفارة السوفيتية في طوكيو ، لتدعيم نشاطهم المعادي للحزب . إن هذه حقيقة معروفة للجميع » .

« وحاولتم شراء مراسل صحيفة « اكاهاتا » في موسكو ليعمل جاسوسا ويجمع لكم المعلومات التي قد تفيدكم في بث بذور الشقاق بين قادة حزبنا ١ .

ولعل أخطر ما يعنينا في مسألة العمالة والتبعية وتلقي التعليمات من الخارج ، هو اعتراف الصين وروسيا بتلقي الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي توجيهاتها من موسكو أو بكين . .

روسيا تحمل الصين تبعة الانحراف اليساري الذي سقط فيه الحزب الشيوعي العراقي نتيجة توجيهاتهم ، بينما تحمل الصين ، روسيا ، مسئولية استسلام الحزب الشيوعي العراقي ، والمصير الذي وصل إليه .

ونحن نعتقد أن الحزب الشيوعي العراقي قد لاقى المصير الذي يستحقه لعدة أسباب : منها أنه سمح لنفسه بتلقي توجيهات من خارج الوطن العربي

---

(١) رد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الياباني على اللجنة المركزية للحزب السوفيتي في صحيفة « أكاهاتا » اليابانية بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٩٦٤ . وترجمته الصين في بكين ريفيو

(٢) صحيفة جينمن جيباو ٣١ مارس ١٩٦٤ (ترجم وأعيد نشره بالعربية عن دار النشر باللغات الأجنبية ـ بكين)

ولكن مايعنينا هنا ، هو اثبات هذا الاتهام، وعلى لسان الذين لاسبيل إلى التشكيك فى نواياهم .. أو رجعيتهم .. الخ ..

تقول صحيفة الحزب الشيوعى الصينى : « لقد كان رفاق الحزب الشيوعى العراقى فى الماضى مليئين بالحماس الثورى (أيام تأسف خطيب صينى فى حفل تكريم للمهداوى ، على أن الثورة الصينية قد انجزت قبل ظهور المهداوى ، فضاع على الشعب الصينى فرصة اكتساب خبرة السحل ومحكمة الشعب من الرفاق العراقيين !) الا أنه (تقول صحيفة الحزب الصينى) فرض عليهم قبول خط خرشوف التحريفى بواسطة الضغط الخارجى ، وفقدوا يقظتهم تجاه الثورة المضادة . وضحى اثناء الانقلاب المسلح المعادى للثورة[1] ، رفاق قياديون بأرواحهم ببطولة ، وقتل آلاف من الشيوعيين والثوريين العراقيين بصورة وحشية ، وتشتت شمل الحزب الشيوعى العراقى الذى كان منيعا وقويا ، وأصيبت القضية الثورية العراقية بنكسة خطيرة .

إن هذا درس مفجع فى تاريخ الثورة البروليتارية .. انه لدرس كتب بالدماء[2] .

---

(١) ثورة عبد السلام عارف فى ١٤ رمضان!

(٢) نشرت تحت عنوان : الثورة البروليتارية وتحريفية خرشوف عن دار النشر باللغات الأجنبية بكين الثمن ٣ قروش . صفحة ٥٧

أما روسيا فتعلن فى وثيقة أكثر من رسمية قائلة : « لدينا الآن الدليل على أن ممثلى الصين فى العراق يريدون الاستفادة من حقيقة ان الحزب الشيوعى العراقى وجد نفسه بدون زعامة ليشكلوا هناك جماعة من الانفصاليين[1] » .

حقاً ! . . إذا اختلف الرفيقان . . ظهر العميل ! . .

---

(١) صفحة ٩١ من الطبعة العربية لقرار الإجتماع الشامل للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى المنعقد فى ١٥ فبراير ١٩٦٤ . الناشر وكالة نوفوستى للانباء . وثمنه قرشان . يباع على الأرصفة فى القاهرة لمن أراد أن يبصر . . ولكن على قلوب أقفالها !

و

من زاوية القومية ، يمكن فهم كل الأسباب الحقيقية للصياح حول الخلاف الأيدلوجى ، ولماذا كان هذا الخلاف محتوما . . وإلى أى مدى يمكن أن يصل . .

أما البدء بإنكار العامل القومى ، فلا يفضى إلا إلى الثرثرة . أو الارتباط بأحد الفريقين ، وتبنى آرائه ، وترديد تبريراته .

خذ مثلا الموقف من التعايش السلمى . . ودعنا من الزعم المتبادل بأن الصين تسعى إلى الحرب ، وأن روسيا باعت الشعوب فى سبيل السلم . .

ما المصلحة القومية المختفية خلف الصياح الايدلوجى ؟

روسيا تؤمن بالتعايش السلمى ، وبأن المنافسة الاقتصادية الآن هى الميدان الحقيقى للتفوق على الرأسمالية ، لذلك فهى تفضل إنفاق أموالها على رفع مستوى معيشة الشعب السوفيتى ، حتى يبدو النظام الاشتراكى جذابا ومغريا لعمال البلاد الرأسمالية : « وحينما يرى العمال والفلاحون فى الدول الرأسمالية ، انجازات الدول الاشتراكية فى التنمية الاقتصادية ، ورفع مستوى المعيشة ، وزيادة الديموقراطية ، وإشراك الجماهير فى الاشراف الحكومى ، فإنهم يقتنعون فعلا بأن المطالب الرئيسية للشعب العامل يمكن الإيفاء (!!) بها عن طريق الاشتراكية فقط ، وكل هذا يشبع الجماهير

بروح ثورية ، ويساعد على استمالتهم للكفاح الجاد ضد النظام الرأسمالى ، من أجل التحرر الاجتماعى والقومى[1] » .

« فعندما يستمتع الشعب السوفيتى ببركات الشيوعية ، سيقول مئات الملايين من الناس على الأرض « اننا نريد الشيوعيه » .

يذكرنى هذا بمنطق معاوية ، عندما زار عمر بن الخطاب رضى الله عنهما الشام ، وأغضبه ان رأى معاوية وحاشيته فى الثياب الفاخرة ، ومظاهر الثراء ، والاستمتاع بثروة الأمة الإسلامية . . ولكن معاوية يرد : ان المسلمين فى بلاد حديثة عهد بالإسلام ، قريبة من العدو فلو عاشوا عيشة عمر بن الخطاب وصحبه فى قلعة الإسلام « بالمدينة » لظن بهم اهل البلاد ضعفا ، ونفروا من حكمهم ومالوا الى حكم القياصرة ! . .

وهكذا استطاع معاوية أن يربط بين مستوى معيشته المرتفع ، وبين مصلحة الإسلام ، وأمنه ، وانتشاره .

نفس المنطق !

فمنذ امتلاك الاتحاد السوفيتى للأسلحة النووية والصاروخية ، لم تعد مشكلة الدفاع عن سلامته هى التى تشغله ، وبالتالى لم تعد سياسة شغل الاعداء بالهجمات والثورات ، ضرورية . وضعفت الحاجة إلى تضامن المعسكر الاشتراكى . وأصبحت المهمة الكبرى للقادة السوفيت هى رفع مستوى الشعب الروسى ، أن ينال حقا ثمرة الانجازات الاشتراكية ،

---

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ١٨

أن تتم إرادة التاريخ ، وقوانينه الأبدية ، فيتحول الروس من مجاهدين إلى مترفين . .

وهكذا ظهرت نظرية التفوق الاقتصادى ، والإغراء بالاشتراكية بدلا من الاستمرار فى الشد على البطون ، واقتسام اللقمة مع الشعوب الشقيقة لتصنيعها . . والاستمرار فى دفع الحركة الثورية فى العالم . .

هكذا تنادى روسيا .. ولكن الصين التى لاتملك أن تعطى شعبها ولسنوات مقبلة ، غير الأمانى والأحلام .. غير المجد .. وسباق الموت من أجل بناء الصناعة الثقيلة والاستعداد العسكرى .. الصين لايمكن أن تقبل منطق معاوية هذا .. إنها تريد الاستمرار فى السياسة الثورية ، حيث يكون لها بملايينها التى لاتعد ، وبموقعها فى آسيا تحيط بها مراكز الالتهاب ، المكانة الأولى .. وفى ظل الثورة الدائمة يتحتم على الدول الاشتراكية المتقدمة ، المعاونة فى تدعيم مجهود الصين الحربى . .

لذلك تقول روسيا إن : « الزعماء الصينيين يهاجمون الحزب السوفيتى لأنه يتبع سياسة تحسين مستويات معيشة الشعب ، وهم يقولون أن تحسين مستوى المعيشة ، يحول الشعب السوفيتى إلى « بورجوازية » وأن مبدأ الحوافز المادية ، ينتج عنه شعب يبحث عن الكسب الشخصى والإثراء . مغريا بالفائدة ، ونمو البورجوازية والإضرار بالاقتصاديات الاشتراكية »[1]

ويعلق الحزب الشيوعى الروسى : أليس هناك احتقار متأصل لمقتضيات الإنسان الضرورية ، ولمبادىء ومثل المجتمع الاشتراكى ، خلف تلك الاتهامات الطائشة ؟ » .

---

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ٧٣

الصين ترى أن الحرب دائرة ، والثورة مستمرة ، ومن ثم فواجب الأسرة الاشتراكية أن تتقاسم السراء ، كما تتقاسم الضراء ، بينما ترى روسيا أن التعايش السلمى ممكن ، وبدلا من الحرب ، يجرى التباهى بالصيت ، ومن ثم فإن على الأخ الأكبر أن يبدو فى أحسن زى ولو قترعلى أخوته .. لأن الأسره تتباهى به ، وتتشرف !

انها « ديالكتيكية » التاريخ .. الابن الأكبر يتمسك بتضامن الأسرة ، ويحثها على التضحية ، حتى يكمل تعليمه ، فيحل مشاكل الأسرة .. فإذا بلغ غايته ، وتفتحت شهيته للحياة ، ضاق ذرعا بالواجبات العائلية ، وتعددت شكواه من هذه الالتزامات ، ورفض سياسة التقشف التى لاتتفق ومستواه الاجتماعى ! . .

ثم يبدأ فى مناقشة جدوى استمرار جميع الإخوة فى التعليم ! وسخافة أن يتصور كل أخ أنه سيستطيع أن يصل إلى ماوصل إليه الشقيق الأكبر وسيتساءل : أليس من الأجدى أن يتعلموا « صنعة » ؟ ! . .

وسيعيره الإخوة الصغار بما ضحت به الأسرة فى سبيله ، وتهربه من مسؤليات الأخ الأكبر ، وسيتحدثون عن المرأة أو « البورجوازية » التى أكلت عقله . .

ولكن المصلحة دائما هى أم المنطق . .

والحزب السوفياتى قدضاق بمسئوليات الأخ الأكبر : « ماهى الفائدة المادية التى تقدمها لنا عبارة : «على رأس» .. انها لاتقدم لنا لالبنا ولازبدا ، ولا بطاطس ، أو خضارا ، أو مساكن ، ولكن قد تقدم شيئا أدبيا ؟

كلا لاشيء على الإطلاق[1] ! » « ماهى فائدة عبارة « على رأس » .. لنا .. فلتذهب إلى الجحيم هذه العبارة »[2] .

هل لمجرد قولهم : « آبيه كوسيجين » يأخذون ثروات الشعب السوفيتى لبناء بلادهم ؟ !

و« دين راسك » يرى : « أن هناك دلائل تبرم لدى القادة السوفيت من أعباء ومخاطر التزاماتهم تجاه الحركة الشيوعية العالمية » .

على أية حال ..

ليس ثمة عاقل يزعم القدرة على التنبؤ بكل آثار هذا الانفجار فى المعسكر الشيوعى . إلا أننا نلاحظ باهتمام ، ظهور حديث ولو خافت ، وربما يضيع أحياناً فى جعجعة النصوص الماركسية ـ اللنينية . وشرح إمكانيات التطور السلمى ، وديكتاتورية البروليتاريا .. الخ .

أقول نلاحظ بعض الأصوات التى تشير إلى الانقسام الحضارى بين الدول البيضاء والدول الملونة ، وأن ألبانيا تجعل الانتهازية ظاهرة أوروبية[3] ، والصين تتحدث عن الشوفينية البيضاء .

وكذلك نسجل أن أول صدام حقيقى وشامل كان بين دولة شيوعية

---

(١) خطاب خرشوف ٤ فبراير تعليقا على تصريح موسكو بان يعين الاتحاد السوفيتى رأسا للمعسكر الاشتراكى .

(٢) خطاب خرشوف فى اجتماع المندوبين (١٢ حزبا شقيقا فى بوخارست ٢٤ يونية ١٩٦٤)

(٣) بكين ريفيو العدد ٦

أوروبية بيضاء وأخرى آسيوية صفراء[1] وأن معظم الأحزاب الشيوعية فى آسيا ، ماعدا الأحزاب العربية ، قد انحازت إلى جانب الصين ، بينما انحازت إلى روسيا الأحزاب الشيوعية فى غرب أوربا وعلى رأسها الحزبان الشيوعيان ؛ الفرنسى والإيطالى .

وقد بدأ الشيوعيون اليوغسلاف ، الحديث عن انقسام العالم إلى أغنياء وفقراء .. لا إلى شيوعيين ورأسماليين .. ولكن الحديث الآن يعود إلى التقسيم الأبدى : الحضارة الغربية البيضاء .. بشقيها الرأسمالى والشيوعى فى مواجهة حضارات الشعوب الملونة ..

---

(١) واقترحت الوفود الصينية فى هذا المؤتمر على الوفود الاسيوية والأفريقية ، أنه مادام الروس والتشيكوسلوفاكيون والبولنديون شعوب بيضاء فإنه لا يمكن الثقة فيهم وأن عليهم أن يكونوا دائما قادرين على التوصل إلى شروط مع الأمريكان البيض .

وعلى ضوء الجهود العملية للقادة الصينيين فى السنوات الحديثة ، أصبح المغزى السياسى الحقيقى لشعارهم : (إن ريح الشرق بدأت تسيطر على ريح الغرب) أكثر وضوحا ويجدر بنا أن نتذكر بأن هذا الشعار قد انتقد بشدة فى اجتماع عام ١٩٦٠ — باعتبار أنه شعار قومى ينادى بالتقارب الجغرافى ، بل والعنصرى ، بدلا من تقارب الطبقة ويتضح أن هذا محاولة للتقليل من دور النظام الاشتراكى العالمى والطبقة العاملة وشعوب أوربا الغربية وأمريكا .

وشعارهم عن القوة السحرية المفروضة لريح الشرق تهدف ببساطة إلى إثارة المشاعر القومية بل والعنصرية بين الشعوب التى تكافح ضد الاستعمار .

وسنوات العبودية والاستغلال الكثيرة للاستعمار الذى سخر من شرف الكرامة القومية للشعوب المغلوبة على أمرها ، قد أثارت عدم ثقة الشعوب بالجنس الأبيض لدى سكان المستعمرات السابقة والدول شبه المستعمرة ، ولا تزال تزكى هذا الشعور ، وهذا هو الشعور الذى يحاول القادة الصينيون إثارته بغية إثارة شعوب المستعمرات السابقة وشبه المستعمرات ضد الدول الاشتراكية والشعب العامل فى الدول الرأسمالية المتقدمة (قرار الاجتماع الشامل للحزب الشيوعى السوفياتى ١٥ فبراير ١٩٦٤)

هنا نرى خطورة المفاهيم الماركسية ، فى العالم العربى ، كأحد أسلحة الغزو الفكرى .. لأن الماركسيين العرب يتجاهلون هذه الحقائق ومازالوا عند مفاهيم الأممية ، والوحدة الطبقية ..

وإذا كانت الأممية عند الدولة الكبرى هى ابتلاع الدولة الصغرى ، فإن الأممية عند الدولة الصغرى هى الذوبان فى الدولة الكبرى، أو ربط مصيرها بعجلة هذه الدولة .

الشيوعيون العرب .. أمميون[1].. ومن هنا كانت سياستهم المنحرفة إزاء قضايانا القومية .. انطلاقا من مفهوم الأممية ، ووضع مصلحة الطبقة العاملة العالمية فوق مصلحة أوطانهم ، وهكذا أيدوا الاستعمار البريطانى والفرنسى

---

(١) ينقل الاستاذ خلدون ساطع الحصرى من وثائق الحزب الشيوعى العراقى ، خطاب قبول عضوية المرشح الجديد . . تقول فيه اللجنة المركزية للعضو: « كن أمميا أيها الرفيق ، ودافع عن مبدأ الأخوة بين مختلف الشعوب . ولتكن ثقتك لا حد لها بقوى الحرية والتقدم والاشتراكية فى العالم بقيادة الاتحاد السوفيتى انها رجاء البشرية التقدمية ، والنصير الأعظم لشعبنا وأمتنا فى نضالها التاريخى » وكان برنامج الحزب الشيوعى المصرى ينص على العمل على ضم الشعب المصرى إلى معسكر الشعوب والسلم بزعامة الاتحاد السوفيتى

خلال الحرب العالمية الثانية . لأن التحليل السوفيتى كان يرى أن العدو هو الفاشية ، ومن ثم فإن الاستعمار القديم ، أو الديموقراطيات ، كما كانوا يسمونها ، لم تكن تشكل الخطر الجارف على الاتحاد السوفيتى ، أو على الاشتراكية العالمية .. بل كان العدو الأول هو الفاشية .. وذلك منطقى فى روسيا أو حتى فى أوربا ، ولكنه تنطع يثير غضب الحليم ، أن يأتى عراقيون ومصريون فينادون بالتعاون والتحالف مع الاستعمار البريطانى المحتل لبلادهم ، بحجة منع خطر الفاشية على الجنس البشرى[1] أوأن يقبل الشيوعيون السوريون تنحية قضية بلادهم واستقلالها بل واقتطاع جزء من تربة وطنهم لدعم حكومة الجبهة الشعبية هناك خوفا من وصول الفاشية إلى الحكم فى فرنسا !

يقول خالد بكداش :

« ولكن الشىء الأساسى هو تأمين الاتحاد بين الحركة الوطنية فى المستعمرات ، وحركة العمال فى الغرب ، ومحاربة الأفكار الضيقة عند بعض المناضلين فى المستعمرات . ولكن المسألة لا تقتصر على الاتحاد مع حركة العمال والحركة الشعبية فى الغرب . فقد تقضى مصلحة النضال الاستقلالى ، السعى للتحالف مع إحدى الدول القومية . فلو نظرنا الى العالم فى الوقت الحاضر مثلا ، لرأينا كما قدمنا أن الخطر الاساسى على

---

(١) لقد حالف الشيوعيون العراقيون الإنكليز وعملوا لهم عندما حالفتهم روسيا وأيدوا فى تلك الفترة عبد الإله ، عميل الاستعمار الانكليزى . ولم تهاجم جريدتهم الشعبية « الشرارة » طيلة هذه الفترة ، عبد الإله أو البلاط مرة واحدة (حقيقة الشيوعيين فى العراق . خلدون ساطع الحصرى)

كياننا الوطنى ، نحن العرب ، مصدره إيطاليا والمانيا الفاشستيتان ، اللتان تعملان للتوسع والاعتداء ، وتقومان بهجوم استعمارى شديد هدفه الرئيسى الاستيلاء على الشرق الأدنى والبلاد العربية ، سورية والعراق ومصر وفلسطين بوجه خاص . إن مصلحتنا الوطنية تقضى علينا بأن نوطد عرى التحالف مع إحدى الدول الديمقراطية الكبرى . وهذه الدولة لا يمكن أن تكون بالنسبة لنا نحن السوريين واللبنانيين إلا فرنسا الديمقراطية .

لذلك يضع الشيوعيون فى سورية ولبنان وجميع الوطنيين الواعين مسألة التحالف السورى — اللبنانى — الفرنسى ، فى مقدمة المطالب الوطنية التى تناضل بلادنا فى سبيلها . ويرون أن أحسن وسيلة لتحقيق هذا التحالف ، هى عقد معاهدة مع الديمقراطية الفرنسية تسمح لبلادنا بتقوية نفسها وربط أجزائها وتثبيت كيانها الوطنى . وتكون المعاهدة سدا منيعا أمام مطامع الوحش الفاشستى فى الشرق الأدنى »[1] ! !

وما زال الشيوعيون حتى اليوم لا يغتفرون موقف الوطنيين الذين رأوا فى الحرب العالمية الثانية فرصة العمر لكيل ضربة ، ولو للانتقام ، من الحلفاء .. الاستعماريين الفرنسيين والبريطانيين ، الذين أذاقوا الأمة العربية طوال قرن من الزمان أبشع ألوان القهر والإذلال . .

على أية حال ان هذا الموقف رغم بعده التاريخى وعدم وضوح تفاصيله الآن يكشف النتائج الخطيرة لإنكار العامل القومى .

إن هذا الإنكار يجعل الضمير الوطنى مطاطا جدا .. بحيث يتسع

---

(١) طريق الاستقلال سنة ١٩٣٩

للتحالف مع محتل بلاده حرصا على مستقبل الديمقراطية فى العالم ! ..

ان الأممية تميت الحس القومى .. وتفتح السبيل للتدليس على الوطنيين.

ومن انعدام هذا الحس ، كان الموقف الأبله الذى وقفته الأحزاب الشيوعية العربية من الأحزاب الشيوعية فى بريطانيا وفرنسا ، عندما قبلت وصاية هـذه الأحزاب وتعاليمها .. فأفتى الحزب الشيوعى البريطانى للشيوعيين المصريين . بأن ثورة ١٩٥٢ فاشية !! طبعا لأنها أخرجت الانجليز من بلادنا .. وأفتى الحزب الشيوعى الفرنسى للحزب الشيوعى الجزائرى بخطأ ثورة الجزائر ، فضيع مستقبله .

ولـكن التفريط الأشنع ، كان فى قضيـة فلسطين . فقد بدأت الأحزاب الشيوعية معالجتها لهذه القضية المصيرية ، من نقطة انعـدام الإحساس القومى .. صحيح أنها عارضت الصهيونية فى البداية كحركة رجعية ، ولـكنها عجزت ، وما زالت عاجزة عن فهم الصلة الحقيقية بين الصهيونية وإسرائيل ، ويهود إسرائيل قبل قيامها . .

لذلك لم يجد الشيوعيون العرب غرابة فى ان يشكل اليهود ٩٠ ٪ من قياداتهم . . والعرب على أبواب معركة فاصلة مع الصهيونية . !!

كان فى مصر ٤ تنظيمات شيوعية .

حدتو[1] ويرأسها هنرى كورييل .. يهودى

اسكرا[2] التى تحولت الى نحشم يرأسها ايللى شوارتز .. يهودى

---

(١) الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى رحل زعيمها إلى الخارج قبيل الثورة وأعلنت حل نفسها بتاريخ ١٥ / ٣ / ١٩٦٥

(٢) الشرارة بالروسية ثم نحو حزب شيوعى مصرى، اندمجت فى الحزب الشيوعى المصرى ورحل زعيمها إلى الخارج وأعلن حل الحزب فى أبريل ١٩٦٥

م . ش . م[1]. وترأسها أوديت وزوجها سلامون سيدنى . (يهوديان)

الفجر الجديد أود . ش[2] ويرأسها يوسف درويش (يهودى) وريمون دويك (يهودى) .

اللجنة المركزية الأولى للحزب الشيوعى اللبنانى كان السكرتير العام فيها هو « جاكوب تيبر » يهودى جاء من فلسطين ليترأس الحزب[3] !!

وبعد انتخاب القيادة الجديدة برئاسة بكداش أرسلت فرج الله الحلو الى تل ابيب لتنسيق العمل .. واستقدمت اليهودى نحمان ليفنسكى كمستشار[3]

وصحيح أن موقف الشيوعيين الخيانى من قضية فلسطين ، يرجع إلى جهود هؤلاء اليهود المخلصين لصهيونيتهم ، إلا أن هؤلاء اليهود ، ما كان يمكنهم أن يروجوا مثل هذه الأفكار بين المواطنين العرب ، إلا وقد مهدت لهم « الأممية » الطريق ، لقد فسد الضمير الوطنى عند الشيوعيين العرب ، بإنكارهم القومية ، وانخداعهم بوحدة الطبقة ! فسهل عليهم قبول مثل هذه الكلمات ، بل ودخولهم السجن ، وتعليقهم على المشانق ، دفاعا عن الخبث الصهيونى الذى كان يكتبه زعماؤهم اليهود ، خيانة للوطن العربى ، ولمصلحة اسرائيل ! .

« ان الشعب العراقى يرفض باباء أن يحارب الشعب الإسرائيلى الشقيق » .

---

(١) صوت البروليتاريا وتحولت إلى المنظمة الشيوعية وحلت زعيمتها وزوجها وانقرضت .

(٢) الديموقراطية الشعبية .

(٣) صفحات مجهولة .. محمد على الزرقا . والياس مرقص

« لا مصلحة فى الحرب للكادحين العرب واليهود . بل للبوجوازية العربية العفنة » ١ وهو حتى لا يساوى فيقول البوجوازية العربية واليهودية ! ! . وطالبت جريدة القاعده فى ١٩٤٨ : « ناضلوا فى سبيل إنهاء حالة الحرب ، واعلان تأليف الدولة العربية المستقلة الديمقراطية فى القسم العربى من فلسطين » .

وأصدر الشيوعيون فى العراق كتابا باسم « أضواء على القضية الفلسطينية » ، ينتهى بهذه الجمل : « فلتسقط الحرب بين العرب واليهود فى فلسطين .. فليحيا التعاون والتحالف بين الوطنيين والديمقراطيين العرب واليهود ، لإحباط خطط الاستعمار والرجعية ، ولتحيا الصداقة العربية اليهودية » ٢ .

وخلال المد الأحمر . . كتبت صحيفة « الانسانية » ٣ الشيوعية العراقية ، تحت عنوان : « مع الإنسانية » :

« لماذا تعيق الصهيونية قضية السلام فى الشرق الأدنى ؟ لماذا نرى بلدا صغيرا كاسرائيل مساحته اكثر من جزء من ٥٤٠ جزءا من مساحة الاقطار العربية (مسكينة) لماذا نرى هذا البلد الصغير ينهج سياسة عدوانية تجاه العرب . من أين يأتى هذا العزم الحربى الذى لا يقاس بشىء ، فهذه

---

(١) العدد ١١ من جريدة القاعدة . لسان حال الحزب الشيوعى العراقى (سرية) ١٩٥٣ من كتاب صفحات مجهولة (محمد على الزرقا ـ الياس مرقص)

(٢) حقيقة الشيوعيين : خلدون ساطع الحصرى

(٣) بتاريخ ٢١ / ١٢ / ١٩٥٨ واسمها ترجمة للاومانيتية الفرنسية !

الدولة التى تمتد على رقعة ضيقة من الأرض بمحاذاة الساحل على عرض ٥٠ أو ٦٠ كيلو مترا ، أصبحت كبرميل للبارود السياسى . . من الذى يدفع إسرائيل الى طريق المغامرات هذه . . إن شعب اسرائيل كشعوب العالم جميعا يريد السلام ويكره الحرب » (!!)

وهكذا استطاع الشيوعيون اليهود أن يصلوا بالوعى الأممى فى الاحزاب الشيوعية العربية الى مستوى عجزت عنه الأحزاب الشيوعية (١) فى ألمانيا وفرنسا وبريطانيا . . حيث أصرت على خوض الحرب الوطنية دفاعا عن وطن الآباء ، وألقت الى الأرض بشعار الأخوة البروليتارية وقرارات شن الحرب على الحرب!

ان انعدام الاحساس القومى بفعل التخدير الأممى ، قد جعل الشيوعيين العرب يتصورون أن قيام دولة اسرائيلية اشتراكية ، أو حتى تقدمية فى الوطن العربى كسب ثورى ، حتى ولو كانت على قطعة غالية من وطنهم ، وعلى حساب تشريدهم هم !

بينما نرى — وتؤيدنا خبرة الشعوب — أن شبرا واحدا من أرض الوطن أغلى من كل المبادىء والنظم والنظريات . . وان العبرة فى التقدم والتخلف ليس الجنس البشرى ككل ، بل تقدمى أنا وتخلفى أنا . . أى تقدم القومية المعينة وتخلفها . . لذا لا يمكن ان نقبل إفناء أمتنا لمصلحة التقدم العالمى ! .. وصدق شاعرنا :

* إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر *

وصحيح أن الولاء الأبوى الذى كان يسيطر على الأحزاب الشيوعية

---

(١) الاشتراكيون الديموقراطيون .

فى عهد ستالين ، قد لعب دورا فى هذا الموقف المخزى للأحزاب الشيوعية العربية ، من أكبر كارثة قومية واجهت بلادهم بعد الاحتلال الغربى . . وظهور الأحزاب الشيوعية . إذ أنه من المعروف أن عددا من الأحزاب الشيوعية العربية قد عارضت بالفعل مشروع تقسيم فلسطين ، ثم عادت فاعتذرت وأدانت موقفها وأيدت التقسيم ، بمجرد أن اتضح موقف الاتحاد السوفيتى . .

عندما قال جروميكو أمام الأمم المتحدة : « إن الدول الغربية قد أثبتت عجزها فى الدفاع عن الحقوق الأولية للشعب اليهودى ، وهذا مايبرر طموح اليهود إلى إنشاء دولتهم بأنفسهم . ومن غير العدل ألا نوافق على هذا الطموح أو أن ننكر حق الشعب اليهودى فى تحقيق مايصبو إليه » [1]

وسرعان ما التقطت الأحزاب الشيوعية الخيط ، وبادرت ، العلنى منها والسرى ، بإعلان تأييد التقسيم ورفض الحرب ، مدعمة وجهة نظرها بالتفسير السوفيتى الذى أعلنه جروميكو ضد حرب التحرير العربية ، عندما قال : « ان الهجوم العربى على الشعب اليهودى المسالم يعتبر عملا وحشيا ضد شعب لايريد سوى تقرير مصيره » [2]

لاأريد ان أطيل الحديث عن موقف الشيوعيين من اسرائيل . . يكفى أن نتأمل موقف الحزب الشيوعى الإسرائيلى لتعرف أن الشيوعيين العرب هم وحدهم الذين يجرون خلف سراب الأممية ! . .

إن مجرد قيام حزب شيوعى إسرائيلى يعتبر مخالفة صريحة للماركسية ،

---

(١) ١٩٤٧/٥/١٥

(٢) ١٩٤٨/١١/٦

لق بموجب كل قوانينها ، تنفى وجود أمة إسرائيلية . . وليس هنـاك ما يسمى بالشعب الإسرائيلى حتى يمثله الحزب الشيوعى الإسرائيلى . . لأن هذا الشعب يتكون من مقاتلين عدوانيين ، حملوا السلاح وجاءوا غزاة إلى بلد لم يولدوا فيه ولا صلة لهم به . . ومع ذلك فإن الحزب الشيوعى الإسرائيلى لايكاد يخرج عن الخطوط الرئيسية للدولة الإسرائيلية ، ويخدم اهداف هذه الدولة عن طريق صلاته ونفوذه فى الدوائر الشيوعية العالمية وتغريره بالشيوعيين العرب[1]

ويضاعف من خطيئة الشيوعيين العرب فى مأساة فلسطين أنهم كانوا فى هذه الفترة ، الأحزاب الوحيدة ، التى يمكن وصفها بالجديدة ، وكان يمكنهم من خلال معركة وطنية صادقة لتحرير فلسطين ومنع تسليمها لليهود ، أن يبدأوا حرب تحرير شاملة ضد الاستعمار وتصفية نهائية للرجعية وأحزابها . . كان يمكن أن تبدأ الثورة العربية الشاملة من نقطة الحرب ضد الصهيونية .

---

(١) « إن الوطنيين العرب (فى إسرائيل) وقعوا فى خطأ كبير عندما ظنوا أن الحزب الشيوعى يتخذ مواقفه على ضوء السياسة التى تنتهجها دول المعسكر الشرقى تجاه القضايا العربية . لا سيما وأن تلك الدول تدأب على تأييد القضايا العربية . ولـكن سرعان ما خاب أمل العرب عند ما تضامن الحزب الشيوعى فى إسرائيل مع باقى الأحزاب الأخرى فى البرلمان اليهودى وشجب تصريحات والتر أولبرخت أثناء وجوده فى القاهرة ، تلك التصريحات التى أعلن فيها عدم اعترافه بوجود الدولة اليهودية ، كذلك تحدث موشيه سنيه أحد زعماء الحزب عن عدم اعتراف الحزب الشيوعى اليهودى بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وأعلن تضامنه مع بقية الأحزاب فى محاربة أهداف منظمة التحرير »

عن أخبار فلسطين نقلا عن صحيفة إسرائيلية ١٩/٤/١٩٦٥

ولكنهم استسلموا كالنعاج لتوجيهات قياداتهم اليهودية . فكانوا هم أول من سقط فى المعركة ، وكان على الثورة العربية أن تشق طريقها بمعزل عنهم ، بل وبالرغم منهم.. ولا أمل فى فهم صحيح من جانب الشيوعيين لقضية فلسطين ، ولا سبيل أمامهم لاتخاذ موقف يتفق وأمانى الأمة العربية فى هذا الشأن ، ما لم يتخلوا عن المفهوم الأممى ، ويضعوا مصلحة الأمة التى ينتمون إليها فوق مصلحة الطبقة ، ووحدة البروليتاريا العالمية ، فلا إخاء بين البروليتارى (العامل) العربى ؛ والبروليتارى اليهودى ما دام يقيم فى إسرائيل .

الخيانة الثانية التاريخية للشيوعيين ، هى موقفهم من الوحدة العربية . . وبالطبع هناك أسباب عديدة لهذه السقطة التاريخية ، التى نستطيع أن نقول عنها ، إنها لوت تطور المنطقة ، وحطمت مرحلة كاملة فى تاريخ الأمة العربية . . مرحلة حاسمة ، أصيبت فيها القوى المعادية بضربة حاسمة . أفقدتها القدرة على التحرك ، أمام الزحف الذى لاسبيل إلى صده ، لولا أن سارع الشيوعيون العرب لنجدة أعداء الأمة العربية فمزقوا النصر ، وحطموا الزحف ، وبلبلوا الجماهير . وأعادوا التاريخ ، فعلا ، إلى الوراء . نعم هنـاك أكثر من سبب(١) . . ولـكن النقطة النظرية التى تعنينا هنا ، والتى تشكل أسلوبا من أساليب الغزو

---

(١) قال الاستاذ محمد حسنين هيكل : « ان النشأة الاولى للحركة الشيوعية فى مصر وسيطرة اليهود الاجانب عليها ، سببت لها بعـدا عن التيار الوطنى المتدفق . . وأكاد أقول عزلة عن هذا التيار الوطنى . . » « لم تستطع الحركة الوطنية ان تستـكتشف حقيقة التاريخ العربى الواحد . والنضال العربى الواحد »

وقال الاستاذ بهاء : « ان الشيوعيين أنـكروا الاعماق الحقيقية للقومية العربية وعجزوا عن فهمها فى الوقت المناسب » .

الفكرى . . هى مفهومهم « الأممى » . . جعلهم القومية العربية ، والوحدة العربية « تاكتيكا » لخدمة الأهداف الشيوعية . . بينما الأمم الناهضة ، تجعل كل المبادىء والنظريات والشعارات فى خدمة قوميتها ووحدتها ومكانتها الدولية . .

فما الذى حدث ؟ . .

فى ١٤ تموز (يوليه) ١٩٥٨ . وصل الزحف العربى إلى قمتـه . . كانت الجمهورية العربية المتحدة ، تقف بكل إمكانياتها ، قادرة على التحرك ومواجهة أى تدخل استعمارى .

وفجأة ! سقطت أكبر قوة رجعية عربية . أكبر قوة كانت تعترض التطور العربى . . . سقط العرش الهاشمى فى بغداد .

وبدا أن الوحدة العربية قد تخطت مرحلة الأحلام ، بل ومرحلة الكفاح . . ودخلت فى لحظة التنفيذ . . بعد ماتجمعت لها كل عوامل النصر . . التى يمكن تلخيصها فى :

* بديهية بسيطة . لا تعقيد فيها ، ولا بلبلة . . بغير تفسيرات المعقدين . . بديهية تفسر الوحدة بأنها الاندماج الفورى لكل بلد عربى فور تحرره . . فى النواة ، الجمهورية العربية المتحدة . . بلا قيد ولا شرط بل واعتبار درجة الحماس لهذا الاندماج . . هى مقياس التحرر . .

* وضوح فى خريطة القوى ، وتحديد قاطع لمعسكر الأعداء ، سببه الثقة المطلقة فى القيادة ، هذه الثقه التى خلقتها معارك حاسمة ومنتصرة ضد المعسكر الغربى . أكدت أصالة عداوتها للاستعمار .

هذه الثقة المطلقة ، كانت مفتاح التحول الثورى فى المنطقة، والإمكانية التاريخية لتحقيق الوحدة « الفورية » إذ لا يخفى أن الوحدة ، قضية مصيرية ، تحتاج لشحنة عاطفية خاصة ، قادرة على إذابة المصالح الأنانية ، والتعقيدات ..

وتجربة الشعوب ، قد أثبتت أن فتح باب الجدل والشك والبحث ، لا يثمر وحدة على الإطلاق ..

إنما تتبع الأمم فى هذه اللحظات ، غريزتها ، وتتمركز إرادتها فى ثقة مطلقة بقيادة تقودها إلى تحقيق ذاتها ..

وعبر السنوات من ١٩٥٢ الى ١٩٥٨ كانت « النواة » قد خاضت سلسلة من المعارك ، على مستوى الشعارات ، والأحلاف ، والتنظيمات وأخيرا على مستوى الصدام المسلح والغزو ..

هذه المعارك المنتصرة منحتها حق قيادة التاريخ .. فلما سقط العرش الهاشمى .. أصيبت القوى الاستعمارية ـ كما قلنا ـ بذهول المفاجأة مما شل تفكيرها ، وأفقدها الثقة فى أى مقاومة من الداخل ، وأوشكت للحظات أن تستسلم[1] .. كان كل آمالها هو تطويق « الحريق » عن طريق الاحتلال العسكرى المباشر فى الأردن ولبنان .. وكنا نعرف عبث الاعتماد على الاحتلال الأجنبى فى مواجهة الشعوب .

وليس أكثر مرارة على نفس كل عربى من تخيل أى مستقبل كان

---

(١) كانت الصحف الأمريكية تناقش فعلا مستقبل اسرائيل بعد قيام الدولة العربية الكبرى .

ينتظر أمتنا ، لو قامت حقا الدولة العربية الواحدة . من العراق وسوريا ومصر ، جمهورية عربية واحدة ، بلا اتفاقيات ولا تعقيدات ولا ضمانات ! .. كان حلم الأجيال ، رعب أوروبا .. سيتحقق ..

كانت ستقوم للعرب دولة ، تستطيع أن تقفز الى الصف الأول فى العالم خلال عدة سنوات ـ بلا مبالغة ـ كانت الوحدة العربية الشاملة تصبح مسألة وقت ، ورهنا بارادة دوله النواة .. كانت اسرائيل الآن ، مجرد ذكرى أليمة مرت بالعرب .!

ولـكن ..

كان دون ذلك حرب الأحمر والأصفر .. أو قل حرب الحضارة البيضاء كلها .

وكان حتما أن تتحرك كل القوى المعادية ، كل قوى الحرب الأبدية التى عاشت على منع قيام دولة قوية عند بوابة آسيا وأفريقيا . .

اتحد الغرب كله ضدنا .. رأسمـــالية وشيوعية .. فهنا قضية فوق المذاهب ، وفوق الخلافات ، وفوق التفصيليات والتناقضات ..

أين هى الدولة الأوروبية التى تقبل قيام دولة المائة مليون عربى عند بوابة آسيا وأفريقيا ؟ تحيط بالبحرين الأبيض والأحمر ، وتطل على المحيط الاطلنطى والخليج العربى ؟ . وتشكل جارا مرهوب الجانب

---

(١) كتلك التى وضعت فى ١٧ نيسان والتى لا يمكن أن تخلق دولة .. ولا حتى حلف أصدقاء .

لروسيا وأوروبا الغربيه معا ؟ ..

إن أكثر التفسيرات سطحية ، هى تلك التى تفسر موقف الاتحاد السوفيتى ، الذى وصل إلى حد الصدام مع القاهرة ، بأنه يرجع لحرص روسيا على نشر الشيوعية !!

بالعكس .. هل يعقل أن روسيا تريد على حدودها « صينا » أخرى ؟! .. من ذا الذى يسعده قيام دولة قوية على مقربة من حدوده؟! .. إن انزعاجه ليكون أشد لو كانت هذه الدولة من نفس نظامه الاجتماعى ، وترفع نفس شعاراته ..

لقد قاوم ستالين بكل عنف ، فكرة ديمتروف فى إقامة اتحاد سوفيتى بين بلدان شرق أوروبا .. ولعل العنف والمرارة اللذين صاحبا طرديوغوسلافيا من الكومنفورم ، كان المقصود بهما هو وأد التفكير فى قيام مثل هذا الاتحاد .. قد تقبل روسيا وجود عراق شيوعى ، أو لبنان شيوعى ، ولكن دولة عربية من المحيط إلى الخليج ؟ ! . فهذه .. مرفوضة أصلا ، ومرفوضة أكثر لو كانت شيوعية ؟ !

---

(١) « ان التعامل مع كل واحد منكم على حدة .. أسهل من التعامل معكم وانتم متحدون » ن . س . خرشوف فى تفسير كراهية الغرب للوحدة العربية فى حفل اتحاد النقابات بالقاهرة

(٢) « لقد كان هناك أناس تحدثوا هنا وسمعتهم يقولون : نحن عرب ، نحن عرب ، ليتحد العرب ، وما شابه ذلك » .

« والآن إذا نظرنا إلى الأمور من هذه الزاوية فسيبدو الأمر كما لو لم يكن هناك سبب لنا نحن الروس لكى نبقى بين العرب . وإن علينا أن نحزم أمرنا ونعود إلى الوطن ، فنحن لسنا عربا على اية حال . إن معلمنا وزعيمنا فلاديمير ايليتش لينين ، =

التقت ارادة الخصومة الأبدية لحضارتنا العربية الإسلامية ، لمنع الوحدة العربية ، بمنع انضمام العراق للجمهورية العربية المتحدة .. النواة ..

وكان الشيوعيون العرب هم الأداة المنفذة لهذه الإرادة .. ولم يكن يصلح لها غيرهم ..

كنا قد سحقنا الاستعمار وأقاويله وابا طيلة وابواقه وعملاءه ، فلم يعد يسمع لهم أحد ، ولا يقبل منهم قولا .. كانت الآذان بحاجة إلى صوت جديد ، صوت خلعت عليه سنوات التعاون العربى ـ السوفيتى ، مسحة صدق ونبرة جد .. مما يجعله أقدر على التشويش والبلبلة ..

وجاء الشيوعيون ، ينسفون كل شيء .. بالمنطق الجاهز دائما ، وبمالهم من رصيد بفضل التعاون السوفيتى ـ العربى ١ .

= دعا أيضا إلى الوحدة . ولكن على اساس العمل ، على اساس طبقى لا على اساس قومى » .

ن . س . خرشوف فى حفل توزيع
الاوسمة فى اسوان ١٦/٥/١٩٦٤

اعتقد ان عقل خرشوف اللاواعى هو الذى نطق بهذه الجمل عن حزم الروس لحقائبهم ومغادرة البلاد إذا ما اتحد العرب .

(١) هل يعقل أن الاتحاد السوفيتى لم يكن يعرف بالتعاون الشيوعى الانجليزى فى العراق . . وهل يعقل أن الاتحاد السوفيتى كان يصدق إمكانية تحول العراق لدولة شيوعية ، ويستعد لقبول مخاطر هذا العمل ، وهو الذى رفض بصراحة « المخاطرة » بتأييد الثورة العراقية ضد التدخل الأمريكى والبريطانى ، مع أن الظروف المساعدة فى مثل هذه الحالة أفضل ألف مرة من ظروف المخاطرة من =

وما أكثر ما كتب ، وما أكثر ما قيل ، وما أكثر ما أريق من مداد أسود فى تحليل الاستعمار المصرى ! ووصف الوحدة بأنهـا توسع مصرى ! وان القاهرة هى عميلة الاستعمار الأمريكى فى لحظات كنا نخوض فيهـا أشرف حرب من أجل تصفية الاستعمار .. فى وقت كانت القـاهرة هى مركز الحركة الثورية لتصفية الاستعمار فى آسيا وافريقيا ..

لم يكن هجوم الشيوعيين ، يعكس خلافا سياسيا بين معارضة ونظام حكم .. فإن مثل هذه المعارضة موجودة ومطلوبة دائما .. ولـكن معارضتهم كانت تهدف إلى نسف الوحدة من أساسها .

لو أن الشيوعيين كانوا حقا يريدون الديموقراطية (وهم ألد اعدائها لايمانهم بديكتاتورية البروليتاريا ، ولأن تاريخهم مع الثورات العربية ينقسم إلى مرحلتين متبادلتين .. مرحلة يحالفون فيهـا الرجعية ، ويدعون للديموقراطية الشكلية للقضاء على الثورة ، ومرحلة يرون أن إثبات ولاءهم للثورة يتجلى فى معارضتهم لأى اتجاه ديموقراطى ، واتهام كل دعوة للنقد بأنها مؤامرة رجعية)

لو كان الشيوعيون يريدون الديموقراطية ، لـكان بوسعهم أن يدخلوا على الوضع العربى ما شاءوا من تعديلات ، بشرط واحد ، هو تمسكهم بالوحدة ودولة الوحدة .. ولـكن الشيوعيين تحدثوا عن « مصرى » .. و « سورى » . !!

= أجل حكومة شيوعية فى العراق ؟ . . ألا يدل ذلك على أن الهدف كان منع الوحدة .. لا الاستيلاء على رقعة شيوعية ؟!

هم الأمميون مع اسرائيل وفرنسا وبريطانيا ! .. انقلبوا فجأة إلى اقليميين شوفينيين .. على أحط مستوى . هم الذين يؤمنون بأن كل ظاهرة مصيرها الى زوال . . عرفوا الخلود وآمنوا به مرة واحدة .. لجمهورية قاسم الخالدة ! ..

لم يكن الخلاف الشيوعى على برنامج وطنى ولا اجتماعى .. فليس من يصدق اليوم أن « راونترى » قد اشترى القاهرة .

والشيوعيون كما قلنا كانوا يعارضون الدعوة إلى الاشتراكية ويؤمنون بضرورة تشجيع الرأسمالية .. فهل كانت دولة الوحدة تدعو إلى الاقطاع ! ..

ولست أريد أن أقلب وأنقب فى الصفحات السوداء ، ولا أن أعيد ذكرى الدماء الطاهرة ، وفلذات أكباد الأمة العربية .. فما أمر على النفس ، ذكريات النصر الذى ضاع ! ..

تأمل هذه العناوين .. وتخيل أنها فى صحف شيوعية تؤمن بأخوة الجنس البشرى :

استقالة الحورانى والبيطار والوزراء البعثيين

٣٠٠ ضابط مصرى يصلون سوريا .

اعتقالات جديدة فى حمص وحماه .

ثم تقول الصحيفة الشيوعية : « « تتفاقم الحالة فى دمشق وباقى المدن السورية . والأخبار المتناقلة فى دمشق ، أن الوزيرين عبد الغنى قنوت ، ومصطفى حمدون قد اعتقلا بعد عودتهما من القاهرة مباشرة ، كما تتحدث أنباء عن اختفاء مشيل عفلق (حتى مشيل عفلق !) أما الخبر الهام الذى أثار الاستياء البالغ الشديد (! !) فهو قدوم ٣٠٠ ضابط مصرى الى

دمشق (أثار الاستياء فى اسرائيل !!) وصلوا بالطائرات على عدة دفعات وفى يوم واحد ، وأتى هؤلاء الضباط ليحلوا محل الضباط السوريين الذين أبعدوا مؤخرا الى القاهرة .

وبدأ الناس يتحدثون عن القضايا الأساسية الواجب حلها .. عن الحياة الديموقراطيه والحريات ، وعن النضال ضد الاستعمار ، وعن وقف الغزو الاقتصادى المصرى ، وتأمين العمل للعاطلين والخبز للجائعين ١ ».

اذا قال شيوعى أنه آمن يوما بالقومية العربية ، فلا تصدقوه ! إذ كيف تستعمر أجزاء من القومية أجزاء أخرى . . هل يمكن القول بالغزو النيويوركى لفرجينيا ؟ ! .

ولمصلحة من تأسيس العداء بين الضباط السوريين ، والضباط المصريين؟! ألا ينصحنا بعضهم بعدم الإثارة ضد اليهود لكى لاتربى الجماهير على انحرافات يصعب اقتلاعها فى المستقبل٢ ؟ ! . . فلمصلحة من . ؟ ! حتى إذا كنا نختلف مع نظام الحكم القائم فى فترة معينة . لمصلحة من نسف أساس الوحدة القومية ، وإثارة العداء بين أجزاء الأمة الواحدة ؟ !

اقرأ .

سوريا تغلى سخطا .

ضرب طلبة الجامعة السورية بالرصاص »٣

« الوزير البعثى الرابع يقدم استقالته . . سوريا تشهد اعتقالات واسعة جديدة » .

---

(١) اتحاد الشعب كانون ثان ١٩٦٠ .
(٢) أخبار اليوم (مقال إسرائيليات) ١٩٦٥
(٣) البلاد كانون ثان ١٩٦٠

« هذا وقد نشرت جريدة « الاوريان » (أنعم بها من مصدر لصحيفة شيوعية) الصادرة صباح أمس ، أن الاعتقالات شملت جميع المدن السورية كما أن مظاهرات قامت فى حمص وحماه وحلب ، وأن اشتباكا حدث فى تلكلخ وقع فيه بعض جرحى »(١)

والوحدة . . أمل الشعوب العربية ، والتجسيد الحى لارادتها . . جعلها الشيوعيون هدفا استعماريا يتطلع إليه الاستعمار المصرى (بنك مصر عبود ـ الدفراوى) ويمهد لها الاستعمار العالمى . لا الشعب العربى ! « صوت الاحرار » الشيوعية تقول :

« تحشدات إيران على الحدود وإذاعات مصر وتهديدات (...) حسين كل ذلك يؤدى بنا أن نرجع إلى الوراء قليلا . . لنستعرض الوضع فى سوريا قبل الوحدة ، وكيف كانت تقوم تركيا بنفس الدور الذى تلعبه إيران إزاء العراق ، والدور الذى لعب فى العراق فى العهد المباد ، والدور التهديدى الذى لعبه الأسطول السادس ومقارنته بتهديدات الملك حسين ، وإذاعات الدول الاستعمارية فى سنى الحرب الباردة ضد سوريا والإذاعات التهجمية التى تقوم بها الجمهورية العربية تجاه العراق الآن .

لقد كان الغرض من تحرشات الحدود التى تفتعلها تركيا نحو سوريا ، ومرابطة الأسطول السادس فى لبنان هو إشعار الشعب السورى أنه فى عزلة ، وأنه لا يستطيع منفردا الدفاع عن نفسه بدون اللجوء إلى دولة أخرى كمصر ..

وهكذا وفى ظل هذه الظروف ، نجح الاستعمار فى بلورة مقاصده ،

(١) إتحاد الشعب كانون أول ١٩٥٩

وأجبرت سوريا من حيث لاتدرى على الخنوع لجمال عبدالناصر ، والانضواء تحت راية بنك مصر . ولكن مادام الشعب العراقى قد وعى مقاصد الاستعمار ، والعيون تفتحت وكل فرد من الشعب شعر وفهم ، فلا يخفى شىء عن عيوننا . مازلنا يدا واحدة وشعبا وجيشا متحدا .. فكلنا كتلة متراصة . وسنبقى رافعين راية التحرر والديمقراطية والاستقلال ...الخ» [1]

لم تكن القضية إذن وحدة أو اتحاداً .. كونفدراليا أو فيدراليا ، بل ضرب فى جذور الفكرة ذاتها ، لنسف الوحدة من أساسها ، ومنع قيامها .. وهل كان يمكن أن يقول مثل هذا الكلام الا الشيوعيون ؟! ..

وفى أمتنا خائنان شهيران .. يوسف خنفس . . وعفيف البزرى . .

يوسف خنفس آمن ببريطانيا ، وباع مصر لها . . وعفيف البزرى أصيب بلوثة ماركسية على كبر . . وسأنقل من رسالته الشهيرة بعض سطور من التى يقل فيها الاسفاف قدر الإمكان :

« اخى العزيز العقيد فاضل المهداوى

اطيب التحية

وبعد ، فأرجو معذرتى أن اكتب إليكم بدون سابق معرفة شخصية ، ولكن من الذى لا يعرف المهداوى ، وصوته الشريف الداوى المرعب للرجعية والاستعمار . إن ما قدمتموه وتقدموه من خدمات جليلة لأمتنا

---

(١) مقال « الدور الذى لعبه الاستعمار فى سوريا . . ويريد أن يطبقه فى العراق .. بقلم سعاد عبد المطلب الدجيلى ! . . صوت الأحرار ١١ / ١/ ١٩٦٠

فى فضح المستعمرين والعملاء ، سيبقى أبدا فى ذاكرتى ، وقلب شعبنا على مدى التاريخ ، فاهنأوا بما وفقتم فيه من ضرب الأشرار ، ومقاومة المستعمرين وأذنابهم الطامعين . لقد أغضبنى كما أغضب كل حر شريف ، نبأ المحاولة المجرمة التى تعرض لها الزعيم البطل عبد الكريم قاسم . وتبين بعد هذه السلسلة من المحاولات التى تتعرض لها جمهوريتكم ، أن حكام القاهرة الفاشست ومن فوقهم الاستعمار ، يصرون إصرارا عنيدا لإطفاء هذه الشعلة الناطقة . شعلة الحرية لشعب العراق العظيم . وقد كان هؤلاء أنفسهم يتآمرون على حرية سوريا وديموقراطيتها فى ظروف وأشكال أخرى، إنهم لاشك يمثلون أبشع وأخبث رجعية عرفتها أمتنا العربية . . (ثم كلام لا يجوز نشره)

إلا أن تعرية العدو لا تكفى للقضاء عليه ، ودفع أذاه . ولا بد من مواصلة النضال لتحطيمه وإزالته نهائيا من عالم الوجود (! !) وهذه غاية لا تتم إلا بصيانة العراق بشكل حاسم من كل ما يتهدده من أخطار داخلية . . وفى هذه الحالة لابد من إعلان التعبئة الشعبية والحفاظ على هذه التعبئة طيلة بقاء الفاشست والنفوذ الاستعمارى فى سوريا . . إن الشعب لا يخيف إلا الرجعيين ، فيجب الاعتماد عليه بدون أدنى تحفظ ، فنحن نعيش فى ظروف استثنائية . وستبقى هذه الظروف ما دام الخطر قريبا فى سوريا . إن الرحمة بالرجعية تتنافى مع الرحمة بالشعب ولا تجتمع معها أبدا . . فحذار من دموع التماسيح ، وحذار من عويل الغيلان . ان الرجعية لو عادت لن ترحم شريفا . ومثل سوريا (١) والأردن وإيران،

---

(١) (! ! !)

خير شاهد على هذا القول . لقد تفضل الزعيم ومنحنى حق اللجوء الى العراق الحبيب منذ مدة (عند ما فر من سوريا الوحدة الكريهة الى عراق قاسم الحبيب !) إلا أن وقوع الجريمة البشعة الاخيرة دفعنى للكتابة إلى سيادة الزعيم لأهنئه بالسلامة من هذه المحاولة الدنيئة ، ولأرجوه فى أن يشدد فى اتخاذ الوسائل الفعاله لابعاد خطر هؤلاء الفاشست أجراء الاستعمار عن العراق . وهذا لا يكون إلا بالعمل بكل جد لإخراجهم من سوريا . مع مراعاة الظروف الدولية الراهنة بالطبع ، لأن تخليص سوريا هو على كل حال شأن الشعب السورى ، (انجز مهمتك يا رفيق . . الكزبرى والنحلاوى . . والآخرون الذين تعرفهم)١ الا ان الدفاع عن استقلال العراق ، وحصانة هذه الجمهورية الفتية ، ورص صفوف ابنائها هو اكبر مساعدة لسوريا والعرب قاطبة ..

ارجو أن تبلغوا الأخ العقيد ماجد محمد أمين تحياتى واعجابى الشديد بوطنيته وبتفكيره النير . ولا اشك أنه خير رفيق لكم تتعاونون وإياه فى كل الملمات التى تعترض سبيلكم فى هذه الظروف التاريخية ، كما انكما مع العقيد وصفى طاهر وكل الأشراف الطيبين فى العراق خيرعون وسند للزعيم الكبير عبد الكريم قاسم ، بإخلاصكم واتحادكم وتنظيمكم .

وتفضلوا أيها الأخ العزيز بقبول أطيب تمنياتى . وعميق تقديرى وإعجابى

عفيف البزرى٢

---

(١) يوم الانفصال المشئوم .. اعلن بكداش فى بيونجيانج (إذا سقطت أعلام القاهرة .. ترتفع رايات الاشتراكية) الكاتب ديسمبر ١٩٦٤

(٢) عن صوت الأحرار ١١ كانون ثان ١٩٦٠.

« ان واقع تيتو وعبد الناصر فى الوقت الحاضر يثبت أن القوة الثالثة التى يدعوان إليها ، وينطقان باسمها ليست سوى اداة بيد الاستعمار العالمى ، ذلك لأن سياسة هذه القوة الثالثة هى ذات السياسة التى يسير عليها تيتو وعبد الناصر فى علاقتهما مع بلدان المعسكرين الاشتراكى والرأسمالى » .

« ولقد كان تيتو شريكا لعبد الناصر وللاستعمار الانـكلو ـ امريكى فى المؤامرات التى دبروها ضد جمهوريتنا الفتية ١ ، وعلى الأخص مؤامرة الشواف القذرة .

لقد التقت سياسة عبد الناصر الحاضرة بسياسة الاستعمار ، فوضع يده بأيدى المستعمرين فى كل محاولة أرادوا بها قهر جمهوريتنا الديموقراطية وتحطيم كياننا الجديد ، وراح يتعاون مع فرنسا الباغية (! !) التى تشن أبشع حرب على إخواننا فى الجزائر . ويتغاضى عن مرور السفن الإسرائيلية فى قناة السويس (؟؟ ! !) ويحجم فى صحفه واذاعاته حتى عن ذكر كلمة واحدة تخدش أسماع إسرائيل ، بل واكثر من ذلك يترحم على (داس) ويعزى بوفاته ، ويوحى بكتابة المقالات المطوله التى تثنى على عبقريته .

ان اتضاح حقيقة تيتو وعبد الناصر قد فضح واقع القوة الثالثة التى يدعوان اليها ، فقد ثبت بما لا يقبل الجدل (!) أن هذه القوة إنما هى عون للاستعمار وحده ، وهذا ما جعل الهند واندونسيا تبديان برودا

---

(١) جمهورية قاسم ـ طه الشيخ أحمد ! !

كبيرا إزاء محاولات عبد الناصر لعقد اجتماع يمثل هذه القوة الموهومة »[1]

« المؤامرة الجديدة تلوح فى الأفق

« ومنذ حلول الذكرى الثانية لالحاق سورية بمصر ، وعبد الناصر يطوف بسوريا ، وينثر الخطب بلا حساب (كلام لا ينشر) ومعلنا اصراره (.....) على فرض « الوحدة العربية الشاملة » على جميع الأقطار العربية ، من المحيط الى الخليج »[2] .

(مالوش حق !)

« إن تطور الأحداث السريع فى البلدان العربية منذ ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة ، وجميع الدلائل المتوفرة تدفعنا الى الاعتقاد الجازم بأن محور القاهرة — عمان — الرياض ، الجديد ، سيدير عجلة القيادة فى هذه المرحلة الحاسمة من كفاح العرب التحررى باتجاه تصفية القضية الفلسطينية نهائيا لصالح إسرائيل ، ولصالح الاستثمارات الأمريكية التى تسعى لإيجاد مجالات جديدة لتوظيف رساميلها ، وكذلك تسوية القضية الجزائرية بشكل يضمن تغطية الاستعمار الفرنسى الغادر . إن تسوية هاتين المشكلتين الخطيرتين فى دهاليز قصر الإليزية وقصور الجمهورية وعابدين . . الخ . . وفى الجلسات السرية فى مؤتمر الدار البيضاء ، انما هو امتداد للسياسة الاستعمارية المعادية لمصالح الشعوب العربية كافة » .

نعم ! . . كان الشيوعيون يعارضون الوحدة أساسا ، وليس لأن لهم

---

(١) افتتاحية صوت الاحرار ٢٧ مايو ١٩٥٩ .

(٢) افتتاحية اتحاد الشعب . صحيفة الحزب الشيوعى الرسمية ٢٥/٢/١٩٦٠

اعتراضات على شكل الحكم ، ولا حتى ، حرصا منهم على نشر الشيوعية . .

واذا كان المفهوم القومى يضع وحدة الأمة فوق كل التفصيليات . . فإن البرنامج الثورى يرى أن تحقيقه اكثر احتمالا فى ظل الوطن الموحد منه فى ظل التجزئة . . إذ أن اتحاد الطبقة العاملة يسهل مهمة الحزب الشيوعى، واختفاء التناقضات بين الرأسماليات العربية ، يسهل مهمة العمل الثورى ، ويضعف ارتباطات الطبقات الشعبية بالقوى المحافظة الإقليمية .

وحتى لو كانت الوحدة ستحقق « وحدة رأسمالية » فهذه خطوة تقدمية تعقبها الثورة الاشتراكية ، وتمهد الطريق لها . .

فكيف يمكن لمؤمن بالوحدة العربية ، أن يعارض حتى الوحدة الاقتصادية ؟ هل هناك أى مصلحة تقدمية أو ثورية أو تحررية فى استمرار الشرائح الاقتصادية المتماثلة والمتنازعة والضعيفة فى نفس الوقت ، المكونة للاقتصاد العربى ؟ !

لماذا ؟

لنفرض ، وهو فرض خيالى أثبتت تجربة الوحدة القصيرة أنه خاطىء وأن عكسه هو الذى يحدث ، ومع ذلك .. لنفرض ان الوحدة تعنى تغلب الرأسمالية الأقوى على الرأسماليات الضعيفة فى العراق وسوريا والأردن .. الخ .. فلماذا يعارض الشيوعيون ؟ هل انقلبوا إلى حماة الرأسماليات العراقية والسورية ؟ !

وماذا قال الشيوعيون ؟ !

« وكان أخطر اقتراح بذلت محاولات لاقراره ، هو وضع مشروع

« الوحدة » الاقتصادية موضع التنفيذ ، على أن تعالج « المشاكل الفرعية » التى ستنجم عن هذه الوحدة فيما بعد . غير أن هذا المشروع المبتسر لم يكتب له النجاح ، وقد وقف الوفد العراقى حياله موقف المعارض بالنظر لاختلاف الظروف الموضوعية والذاتية بين مختلف البلدان العربية ، وما يتبع ذلك من اختلاف واقعى بين مصالحها المادية فى الظروف الراهنة ، لا يمكن تجاهله .

وقد عكس موقف وفد العربية المتحدة فى هذه المسألة جوهر سياسة حكام القاهرة فى قضية « الوحدة » العربية التى يسعون لفرضها بالقوة ، بصرف النظر عن الظروف الموضوعية والذاتية الراهنة لكل بلد . بل إن موقف وفد العربية المتحدة قد عكس بوضوح المصالح المادية « الاقليمية » ومن ورائها المصالح « الطبقية » ممثلة بأطماع الرأسمال المصرى الاحتكارى بالدرجة الأولى وهى التى تخدمها فلسفة حكام القاهرة ، وتعبر عنها دعواتهم ونشاطاتهم المختلفة ، بما فى ذلك النشاط التآمرى وحتى « الاغتيال » .

إننا نرى أن السياسة الاقتصادية العربية الصحيحة التى تقتضيها مصلحة كل بلد عربى ، كما تقتضيها مصالح الأمة العربية كلها ، هى سياسة التضامن المخلص النزيه والتنسيق الاقتصادى بين البلدان العربية بصورة تضمن مصالح وأسباب تطور وازدهار كل بلد ، وانتهاج سياسة اقتصادية وطنية مستقلة ، بعيدة عن التبعية الاستعمارية ، فى التجارة والصناعة والمال . . . وينبغى التأكيد على أن أى مسعى مبتسر لفرض « وحدة » اقتصادية بين البلدان العربية فى ظروف من التجزئة السياسية ، والتعاون (ربما التباين)

فى التطور المادى والتباين فى الظروف المادية ، وحتى فى العادات والثقافات (ماذا بقى لنكون أمة ؟ !) إن مثل هذا المسعى ، يستهدف كما هو واضح استئثار البورجوازية الاحتكارية المصرية ـ الأكثر تطورا ـ بالثروات الاقتصادية للبلدان العربية ، على حساب تجاهل مصالح الشعوب العربية ، بما فيها مصالح أرباب الصناعات والتجار والماليين الوطنيين فى البلدان العربية الأخرى ، ويلحق أبلغ الضرر كذلك بالعلاقات السياسية والروابط الأخوية بين البلدان العربية الشقيقة » ١

ياللعار ؟

كيف انقلب الأمميون . . إلى حزب بورجوازى مدافع عن مصالح الماليين والتجار وأرباب الصناعات ؟ ! . . لأن الأممية عندهم هى خدمة المصالح الأجنبية المعادية لأوطانهم . وهم من هذه الزاوية أخطر أسلحة الغزو الفكرى ، فإن خبرتنا المريرة مع الاستعمار الغربى ، تجعل مثل هذه الكلمات منه أو من عملائه لاقيمة لها . . بل بالعكس . . تحدث أحياناً رد فعل عكسى . .

أما من الذين يعرفون جيداً أن الوحدة الاقتصادية هى قاعدة الوحدة السياسية . . فإن معارضتهم لهذه الوحدة خيانة ، والأسباب التى يتذرعون بها عار ! . .

وكلما فكر العرب فى ذكريات المحنة القاسمية ، حق لهم أن يتساءلوا . .

---

(١) افتتاحية اتحاد الشعب : ١٩٥٩/١١/٢٤ .

هل جن الشيوعيون وحدهم ؟ ليروا فى حكم عبد الناصر فاشية ، وحكم عبد الكريم قاسم ، ديموقراطية وحرية وتحرراً ؟ !

وهل يمكن أن نسمى ذلك خطأ او حتى انحرافا ؟ !

والجواب . . لا . .

لأن الوحدة . . كالغريزة ، تتحرك حتى ولو غاب العقل الواعى ..

إن بذرة الحركة الشيوعية فى الوطن العربى فاسدة أصلا .. وأقوى أسلحة الغرب ما كانت لتستطيع أن تغزو القلعة العربية مثلما فعلت الماركسية إبان لحظة حاسمة فى تاريخها . .

وكلما ذكر العرب على مر السنين والقرون ، حلم الأجيال الذى أشرق عليهم فى صبيحة الرابع عشر من تموز . . فأحاله الشيوعيون إلى كابوس مرعب . . سيلعنون الذين هدموا بأيديهم مابنته أمتهم . . وكانوا أول الخاسرين !

وإذا استطعنا أن ننسى دماء الماضى فلا يسعنا إلا القلق على المستقبل والحذر لما تبادرنا به الماركسية ومعتنقوها . . لأن الشيوعيين حتى الآن ، لا يريدون أن يعترفوا بجريمتهم ضد الوحدة . . بل يعلن راديو موسكو : « اجتمع ممثلو الشيوعية فى بلدان المغرب والمشرق العربى فى كانون الأول من عام ١٩٦٤ ، وأجروا تبادلا موسعا ومقنعا لآرائهم وتجاربهم ، واستعرضوا النهوض المتعاظم للحركة الثورية ضد الاستعمار فى سبيل السلم والتحرر الوطنى والديموقراطية والتقدم الاجتماعى (لا اشتراكية) على مستوياته المتفاوتة فى جميع البلدان »

ثم نصل إلى المادة ٤ من قرارهم حيث يقولون : « ان المجتمعين إذ ينظرون باغتباط إلى انتصارات الحركة الثورية فى عدد من البلدان العربية يلاحظون بأسف أن الانتكاسة العميقة التى تعرضت لها الثورة العراقية قد دلت على أن العامل الرئيسى فى نجاح انقلاب الردة الرجعية فى شباط سنة ١٩٦٣ كان كما تبين من الوقائع ومن تجربة الحزب الشيوعى العراقى الانقسام فى صفوف القوى الثورية والوطنية فضلا عن قمع الديموقراطية وقوة مواقع الاستعمار » ١

هذا هو رأى الشيوعيين العرب . . وواضح أننا نتكلم بلغتين كما يقول لنين . . ولا سبيل للقاء بيننا وبين الشيوعين .. ماداموا مصرين على هذا الفهم ! . .

فالأمة العربية ترى ثورة شباط ١٩٦٣ يوما من أيام العرب المجيدة ، أزيح فيه كابوس مجنون عدو للعروبة عميل للاستعمار . . وانهار فيه نظام بشع يقوم على تفتيت قوى الشعب ، وتدمير كل القوى التى تبنى المصير العربى ويعمل على إثارة عوامل الضعف التى تكفل استمرار حكمه ، بل وأيضا اصابة الامة العربية بالشلل لسنوات عديدة بعد زوال كابوسه . .

ثورة شباط هذه عند « ممثلى الشيوعية فى بلدان المغرب والمشرق العربية » . . « انقلاب الردة الرجعية » وسقوط قاسم « نكسة » ؟!

نريد أن نعرف مكسبا واحدا حققه حكم قاسم، حتى يعتبر سقوطه نكسة؟

---

(١) راديو موسكو الساعة ١٨:١٥ توقيت القاهرة ١٩٦٤/١٢/١١

هل علانية العمل الشيوعى هى مقياس التقدم والانتكاس ؟ أليس ذلك مقياسا مغرقا فى الذاتية ؟

ومع ذلك . . ألم يكن قاسم يمتهنهم ، واصطنع لهم حزبا مباحثيا ، ورخصه وحده باسم الحزب الشيوعى ، ورفض الترخيص للحزب المعتمد من الأممية رغم صدور الشهادات له من الدوائر الدولية ؟ ! الم يكن فى سجون العراق مئات منهم . . يوم سقوط قاسم ، ومصرعهم تحت أسوار قلعته فى وزارة الدفاع ؟ . . الم تكن محاكمه تشهر بهم ، ويسلط عليهم الصحف تنهش أعراضهم ؟ . .

لماذا يكون سقوط قاسم نكسة ؟ ! وبأى منطق يواجه الشيوعيون المواطنين العرب؟ . .

والثورة العربية ترى أن سقوط قاسم كان ثمرة اتحاد القوى الثورية والوطنية وضعف مواقع الاستعمار بعد وصول القوات العربية الشقيقة إلى اليمن . وتحول الاستعمار من الهجوم إلى الدفاع . . والشيوعيون يرون العكس تماما . . فأين سبيل اللقاء ؟ ! هل نترحم معهم على قاسم ؟ . . أو يلعنون قاسم مع الأمة العربية من المحيط إلى الخليج ؟ ! . .

أما موقف الشيوعيين من الاشتراكية العربية ، فما يزال غامضا ، ضعيف الأساس ، لايقوم على الصدق والفهم ، والمواجهة الحقيقية . .

ان نقدا ذاتيا جديا لم يصدر إلى الآن . . والشيوعيون فى الخارج ينقسمون إما إلى أنصار للصين يرون فى كل ماتم فى بلادنا ، لعبة ماكرة تدبرها الرأسمالية بهدف إقامة نظام رأسمالى متعاون مع الاستعمار[1] !!

---

(١) منذ اشهر قليلة صدر فى أوربا كتاب جديد بعنوان « مصر الناصرية » ومن تأليف حسن رياض ، وهو اسم مستعار لشيوعى مصرى ، يعمل عضوا فى =

وإما ملتزمين بالخط الروسى .. وهؤلاء لخص موقفهم الأستاذ محمد حسنين هيكل ، رئيس تحرير الأهرام ، عندما قال بعد اعتراف خروشوف باشتراكيتنا « انقسم معظم الشيوعيين العرب إلى قسمين : قسم وافق طاعة وامتثالا .. وربما اقتناعا .. وقسم صعب عليه أن يتخلى عن المسلمات القديمة ، واعتبر أن خروشوف قد طعنه فى ظهره .. »

إلا أن موقف الذين أعلنوا الاقتناع ، لاينبعث من أساس نظرى ، وإلا لعكس درجة واحدة ، أو حتى درجات متقاربة من التأييد ، فبينما نلاحظ أن الشيوعيين فى الخارج لايكادون يذكرون كلمة « اشتراكية » فى وصف نظامنا .. نجدهم فى الداخل ، يحنون إلى الماركسية ، ويداورون ويحومون حول حكاية .. لا اشتراكية إلا العلمية .. ولاعلمية إلا الماركسية[1]

= مجلس تحرير مجلة « الثورة » ، وهى مجلة تصدرها الصين الشعبية فى جنيف لمشاكل اسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . وقد انتهى السيد « حسن رياض » — بعد دراسة مفصلة مدعمة بالارقام والنصوص الماركسية واللنينية — إلى أن النظام القائم فى مصر مثله مثل النظم القائمة فى الجزائر وفى غينيا وفى مالى ، وهى نظم تقيمها البورجوازية الصغيرة التى تنصهر مع البورجوازية القديمة ليقيما معا بورجوازية حكوميه تستولى على السلطة وعلى الثروة العامة وتقيم ، رأسمالية دولة متصلة ومتحالفة مع الاستعمار الجديد ، الذى هو فى حقيقته امتداد غير مباشر للاستعمار القديم ... ولا يمكن أن تؤدى هذه النظم إلى الإشتراكية لأنها تقوم على الخوف من الجماهير وعلى استغلالها ! »

محمد عوده ... مجلة الكاتب ديسمبر ١٩٦٤

(١) ودعنا من المنافقين الذين لا يرون تناقضا بين ارتدائهم الزى الماركسى والموافقة فى نفس الوقت على أن الاشتراكية العلمية ليست الماركسية !!

وفى الوقت الذى نشهدفيه تفتت المعسكر الشيوعى ، وتصفية التنظيمات الشيوعية .. يتحول الماركسيون من عناصر غزو تعمل لحسابها .. إلى مجرد حاملى ميكروب الصليبية الغربية ، ولو بالمفاهيم السلبية التى يروجونها.

والحرب الصليبية الثالثة التى نخوضها اليوم .. أخطر من سابقتيها ، لأن الغرب يتسلح فيها بالتفوق المادى الساحق ، والمغلوب فى هذه الحرب سيحكم عليه بالفناء ، لأننا ندخل عصر الثورة العلمية . ونظرة للامكانيات غير المحدودة التى تبشر بها هذه الثورة ، تؤكد أن الأقوياء سيحققون تفوقا ربما أخرجهم من دائرة الجنس الواحد التى تجمعهم الآن مع الذين سيحكم عليهم بالتخلف والانهيار . .

إن الهوة التى تتسع يوما بعد يوم بين الأقوياء والمتخلفين ، ستتحول ، وقريبا جدا ، إلى فارق نوعى لا يمكن تخطيه .. تماما كما حدث للانسان والقردة العليا ..

وفى مثل هذا الصراع ، لاعاصم لنا إلا التمسك بإسلامنا ، والإصرار على عروبتنا ..

لنبرز شخصيتنا الإسلامية العربية المستقلة التى تصمد للعواصف ، وتقهر الغزاة .. وتنتزع ، قوة واقتداراً ، مكانها تحت الشمس ..

إن لدينا كل عناصر القوة ..

فقط ..

لنؤمن بأنفسنا .. فقد شهد لنا البارى عز وجل ..

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

وما عرفت البشرية فى تاريخها ، يوما أجمل ولا أشرق من يوم كنا نحن شمسه .. وإن بها لشوقا وحنينا لشمس ذلك اليوم ، تبدد عنها أعاصير شتاء طويل .. وظلاما يلتهب بما يشبه الضياء وما به قبس من نور ..

فأشرقى ياشمسنا العربية ..

ورفرفى ياراية محمد ..

مايو ١٩٦٥

المؤلف

مصريون لا طوائف

١٩٥٠

* * *

الجبهة الشعبية

١٩٥١

* * *

قانون الاحزاب

١٩٥٢

* * *

روسى وامريكى فى اليمن

١٩٥٧

* * *

شرف المهنة

١٩٦٢

* * *

الغزو الفكرى

١٩٦٤